

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة - بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



جامعة بجاية
Tasdawit n'Bgayet
Université de Béjaïa



جامعة بجاية
Tasdawit n'Bgayet
Université de Béjaïa

عنوان المذكرة

مضامين رسائل محمد البشير الإبراهيمي
وخصائصها الفنيّة

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصّص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتان:

- سعاد لطرش

- حنان منصور

إشراف الأستاذ:

سعيد إباون

السنة الجامعية: 2021 - 2022

شكر و عرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: "لئن شكرتم لأزيدنكم"

سورة إبراهيم الآية 7

وقال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: {من لم يشكر الناس لم يشكر الله }

الحمد لله الذي هدانا لهذا و تقبل علينا بنعمة العلم والمعرفة و الصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى

آله و صحبه أجمعين إلى يوم الدين.

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "إباون السعيد" الذي ساعدنا في إنجاز بحثنا هذا المتواضع من

خلال نصائحه وتوجيهاته وإرشاداته التي قدمها لنا .

ونتمنى أن يجعل الله هذا العمل في ميزان حسناته وأن يجعله الله في خدمة العلم و رمز عطاء للطلبة

والأدب العربي .

إهداء

قال الله تعالى: "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا"

سورة الإسراء الآية 24.

إلى من كرمهما الله بذكرهما في قرآنه الكريم أهدي ثمرة جهدي إلى من رسمت بسمتي ومسحت
دمعتي و كانت قدوتي في كل مراحل حياتي و مدت لي يد العون عند حاجتي وشجعتني على إكمال دراستي
للحصول على شهادة الماستر "أمي" رفيقة دربي.

إلى مصدر فخري واعتزازي إلى من رافقني بالحب والرعاية و الدعاء "أبي" الغالي ~ رحمه الله ~.

إلى قرّة عيني و القمر الذي أضاء لي ظلامي "ابنتي" العزيزة .

إلى رفيق دربي و سندي ومعلمي "زوجي" ~ رعاه الله ~ و "عائلته الكريمة" التي شجعتني على إكمال

مشواري الدراسي .

إلى من كانوا يضيئون لي الطريق ويساندونني ويتنازلون عن حقوقهم لإرضائي "إخوتي" .

لطرش سعاد

إهداء

إلى روح جدي الطاهرة ~ رحمة الله عليه ~ أهدي ثمرة جهدي هذا إلى أعزّ وأغلى إنسانة في حياتي التي
أنارت دربي بنصائحها ، وكانت بحرا صافيا يجري بفيض الحب و البسمة إلى من زينت حياتي بضياء البدر وشموع
الفرح إلى من منحتني العزيمة و القوة لمواصلة دراستي ، إلى من علمتني الصبر و الاجتهاد إلى الغالية على قلبي "
أمي "

إلى أبي العزيز

إلى إخواني وأختي ~ حفظهم الله ~

إلى كل العائلة الكريمة ، وزملاء الدراسة متمنية لهم التوفيق.

إلى من ساعدني في كتابة هذه المذكرة ، الأخت "سلمى".

إلى كل الأشخاص الذين أحمل لهم المحبة و التقدير .

حنان منصور

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أكمل بالإسلام رسالته السماوية وجعله النبع الصافي، والمنهل العذب والمورد الخالد لا يظمأ من ارتوى من معينه، فهو نبع فياض لمن امتلأ قلبه بالعلم والإيمان.

وصلى الله على أشرف نبي "محمد بن عبد الله" أفضل معلم للبشرية وخير منقذ للإنسانية ومن أشرقت به الظلمات وعمّ به الخير و البركات . تعلم الناس من رسالته أصول دينهم ومن تعاليمه شادوا بنيان الحضارة وال عمران.

أما بعد :

يعد فن الرسالة عند البشير الإبراهيمي أحد الفنون النثرية التي عرفها العرب في قديم الزمان إذ أنّها من أبرز أشكال النثر الفني التي لقيت تطورا هائلا في الأدب العربي إذ تفنن الكثير في كتابة هذا النوع الفني وهي من بين الفنون الأدبية الشهيرة في المجتمع أي تعني نقل معلومة معيّنة بأسلوب معيّن وهي لون من ألوان النثر الفني الجميل وضربا من ضروبه.

تعد الرسالة فنا قديما شأنها شأن فن الترسل، وهي إحدى فنون الأدب، برزت في بداية القرن العشرين. وهي قطعة فنية نثرية في الأدب العربي العريق ، بدأت في العصر الجاهلي و تطوّرت مع تطوّر الحياة في المجتمعات العربية ، إذ إنّها وسيلة من وسائل الإتصال ، فالرسالة نص نثري سهل يتم توجيهه لفئة من الأشخاص إما بشكل عام أو بشكل خاص .

حظي فن الرسائل عند العلامة "الشيخ محمد البشير الإبراهيمي" باهتمام كبير وازدهار عظيم و رفع هذا الفن إلى أرقى درجات العلم .

لظالما كانت الرسالة من العناصر الأساسية المتناولة بكثرة في النصوص الأدبية النثرية ، لأن الرسالة هي الفن و الجنس الأدبي ، و هي من أبرز الموضوعات التي عرفتها المجتمعات بمختلف أجناسها و أصنافها ، فالرسالة هي مرجع رئيسي و مقوم مركزي لكل أمة من الأمم ، و حظيت الرسالة بمنزلة عظيمة في تاريخ الأدب العربي ، بالإضافة إلى دورها ووظيفتها في الحياة الأدبية ، والاجتماعية ، و الدينية ، و السياسية وغيرها

فالرسالة عند محمد البشير الإبراهيمي هي من أهم الفنون النثرية الأدبية.

و من خلال هذه المذكرة حاولنا الإجابة على بعض من الأسئلة الجوهرية المتعلقة بالموضوع و لعلّ

أهمها:

- ما هي أنواع الرسائل الفنية عند البشير الإبراهيمي؟

- ما هي الخصائص الفنيّة و الأسلوبية التي تتميز بها الرسالة عند العلامة محمد البشير الإبراهيمي ؟

- ما هي مميّزات الكتابة الأدبية عند البشير الإبراهيمي ؟

لقد اخترنا هذا الموضوع لانتماء الرسالة إلى الفن الأدبي، ولا شك أن هذا الفن الأدبي أولى بالناية و الدراسة و الاهتمام من أي أدب آخر ، فالرسالة هي من الفنون الأدبية التي يستعين من خلالها أي باحث و أي كاتب في أعماله الأدبية الفنية .

إعتمدنا في هذا البحث على المنهج التكاملي الذي يجمع بين مناهج عدّة ، فكان المنهج النفسي و الوصفي الأنسب لفن الرسالة وذلك من أجل الوقوف على رؤية الكاتب و موقفه من موضوع الرسالة ، إضافة إلى المنهج التاريخي وذلك من أجل إعطاء صورة أوضح عن فترة كتابة هذه الرسالة الفنية ، ولقد إعتمدنا في بحثنا هذا على الخطة التالية :

جاء بحثنا في مقدمة و مدخل عام و فصلين . خصنا المدخل للحديث عن النشر الجزائري الحديث ، و التعريف بالعلامة محمد البشير الإبراهيمي . قسمنا الفصل الأول الموسوم ب: « فن الرسائل في الأدب العربي » إلى أربعة مباحث ، ففي المبحث الأول درسنا فيه مفهوم الرسالة الفنية في اللغة و الإصطلاح ، وتناولنا في المبحث الثاني عنصرا مهما يقوم عليه هذا الفن النثري ، وهو: "أنواع الرسائل" ، وفي المبحث الثالث تطرقنا إلى معرفة "تاريخ فن الرسالة" ، وذكرنا في المبحث الرابع: "بناء الرسالة و خصائصها الفنية" .

أما الفصل الثاني و الأخير الموسوم : [فن الرسائل عند البشير الإبراهيمي] فينقسم بدوره إلى ثلاثة مباحث ، تطرقنا في المبحث الأول الموسوم "خصائص الكتابة الأدبية عند البشير الإبراهيمي" ، و المبحث الثاني الذي سميناه ب: "أنواع الرسائل و مضامينها عند الإبراهيمي" ، و في المبحث الثالث درسنا "خصائص الرسالة الأسلوبية و الفنية عند البشير الإبراهيمي" .

وقد إعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من المصادر و المراجع ساعدتنا في إنجاز هذا البحث المتواضع نذكر منها : حسين نصّار "نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي" ، فوزي سعد عيسى "الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي" ، سهل بن هارون "فنّ الرسائل" .

لم تكن مسيرة هذا البحث ميسورة المسالك سهلة الدروب ، فعلى الرغم من رغبتنا الملحة في المواجهة إلاّ أنه واجهتنا مصاعب و عراقيل كان أبرزها : عدم توفر الوقت الكافي لإنجاز هذا البحث ، قلة توفر المصادر و المراجع الكافية ، قلة وسائل النشر العلمي .

وفي الأخير نتقدم بشكرنا الجزيل و بكل عبارات التقدير و الإحترام إلى أستاذنا الفاضل - أطال الله عمره- " سعيد إباون" ، الذي لم ييخل علينا بجهده ، ونصائحه القيّمة ، التي ساعدتنا كثيرا في إتمام بحثنا ، ونقرّر

بأن هذا البحث لا يرقى على درجة الكمال وهو عبارة عن محاولة بسيطة ، فإن أصبنا فتوفيق من الله - عزّ وجلّ-
وإن أخطأنا فجلّ من لا يخطئ.

مدخل :

الحديث عن النشر الجزائري الحديث .

التعريف بالعلامة محمد البشير الإبراهيمي و مكانة الرسالة

كان النثر الجزائري الحديث ذو بدايات و جذور تعود إلى القدام و يستمر الخوض فيه إلى غاية العصر الحديث ، فواكب مختلف الأحداث التي شهدتها الجزائر كالإحتلال ، المقاومة ، و الإصلاح ، و الثورة ، وغيرها من الوقائع التي إنطبع بها المجتمع الجزائري وميزته عن غيره من المجتمعات الأخرى ، دخلت الجزائر أثناء الإحتلال الفرنسي في مرحلة مخاض عسيرة ، فعرفت شتى أنواع الظلم و الإستبداد من محاولة شرسة لطمس العقيدة و الثقافة و اللغة و محاولة التجهيل و التغريب وهدم لكل مقومات الشخصية الوطنية ، فراحت الأفلام تعبر و تنشر شعائر الإسلام و الحفاظ على اللغة العربية .

تتلخص الفنون النثرية التقليدية في الخطب و الرسائل و المقامات وغيرها ، "ويرى أصحاب الدراسات النقدية أن النثر الجزائري الحديث ، يمثل إتجاهين : إتجاه محافظ و آخر مجدد ، ولكل منهما خصائص فنية . انطبعت بها كتابات روادهما ."¹

ومع ذلك نؤكد أنّ الحديث عن النثر الجزائري الحديث لا يكتمل ، لأن الجزائر أنجبت الكثير من الرجال و هم بمثابة معالم و منارات ، ومن هؤلاء الأعلام الأفاضل العلامة و المصلح محمد البشير الإبراهيمي .

نشأ البشير الإبراهيمي في أسرة عرفت بالتقوى و الورع وحب العلم الذي ورثه أبا عن جد ، ظلّ الإبراهيمي للعلم طالبا ، وللكتب هاضما ، وللمجالس قاصدا ، عرف الإبراهيمي بغزارة إنتاجه لفن الكتابة .

لقد كان محمد البشير الإبراهيمي رجلا مصلحا كرّس حياته لإنقاذ الجزائر من يد الإستعمار وإحياء اللغة العربية و الدين ، ناضل من أجل إعادة الشعب إلى أصلته و حضارته ، وهكذا عاش الإبراهيمي عظيما بمبادئه و جهاده .

¹ - عدلي الهواري ، عود الند ، مجلة ثقافية فصلية، <http://www.oudnad.net>

كان محمد البشير الإبراهيمي يمثل المدرسة المحافظة ورائدها الأول ، فهو العالم و المؤرخ السياسي و الأديب و المصلح و المربيّ الذي أذعنت له هامات الفكر، إعتزافا بفضله و جهوده المنصبة على الإرتقاء بالعلم .

حضي فن الرسائل عند البشير الإبراهيمي باهتمام كبير و ازدهار عظيم ، و رفع هذا الفن إلى أرقى الدرجات " وبذلك وثب الإبراهيمي فن الرسائل في الجزائر ، إلى قمة الفنون الجميلة ، فمنحها أصالتها العربية ، بما فيها من جمال و خيال وبيان ، وخلصه من تلك الركافة الفظيعة التي كانت تخيم عليه".²

لقد حاز محمد البشير الإبراهيمي بما امتلك من علم ، تقدير كبار رجال الفكر الذين احتكوا به ، فهو عندهم العالم الموسوعي واللغوي الفيلسوف المدقق و الفقيه المتضلع و الأديب الذي له أسلوب يضارع أساليب فحول الكتاب ، فاستحق بذلك ثناء العلماء ، كشيخ الشام محمد بيجت البيطار الذي رآه بمثابة دائرة معارف .

أما رفيق دربه في الأعمال الجليلة "العلامة عبد الحميد بن باديس " فجعله فخر علماء الجزائر ، وهي شهادة عالم جليل متبصر بعقول الرجال .

كان النثر الجزائري عند محمد البشير الإبراهيمي يعتمد على الحقائق وهو أدب إنساني " وهو على ضربين : الضرب الأول فهو النثر العادي الذي يقال في لغة التخاطب ، أما الضرب الثاني فهو النثر الذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها فن و مهارة [...] فهي تشمل الرسائل الأدبية المعبرة ، وقد تسع فتشمل الكتابة التاريخية الملقمة".³

² - عبد المالك مرتاض ، فنون النثر الأدبي في الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983 ، ص 317 .

³ - شوقي ضيف ، الفن و مذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط 11 ، ص 15

يمكننا القول أن الرسالة احتلت عند العلامة محمد البشير الإبراهيمي مكانة مقدّسة وعظيمة ، نظرا لأهميتها في تطوير النثر العربي من حيث المحتوى و الجمال ، فهي من المآخذ الهامة و المرجعيات الأساسية التي استفاد منها الكتّاب الجزائريين إذ انها و بفضل محمد البشير الإبراهيمي أصبحت تتسم بتعدد لغوي واضح .

الفصل الأول :

فن الرسائل في الأدب العربي

المبحث الأول : الرسالة في اللغة و الاصطلاح:

الرسالة هي إحدى فنون النثر الأدبي، ومرتبطة بتحضر المجتمع و وجوده لذا كان لها أهمية بالغة عبر مرّ الزمن.

1: لغة:

جاء في لسان العرب : أرسل الرسل القطيع من كل شيءٍ و الجمع إرسال و الرسل:

الإبل هكذا حكاها أبو عبيد من غير أن يصفها بشيء قال الأعشى :

يَسْقِي دِيَارًا لَهَا قَدْ أَصْبَحَتْ غَرْضًا زُورًا بَجَانَفَ عَنَّا الْفُؤُدُ وَالرِّسَالُ

والرسل قطع بعد قطع ،والجمع إرسال قال الراجز :

يا ذائديها حَوْصًا بِأَرْسَالٍ وَلَا تَدُودَاهَا ذِيَادَ الضُّلَّالِ

ويقال هي رسولك، و ترسل القوم:أرسل بعضهم إلى بعض. و الرسول الرسالة و المرسل.

انشد الجوهري في الرسول :

أَلَا أُبَلِّغُ بَنِي عَمْرٍو رَسُولًا بِأَيِّ عَن فُتَاخَتِكُمْ عَنِّي .

وقال ابن منظور أيضا في لسان العرب : (وسمي الرسول رسولا لأنه ذو رسول أي ذو رسالة والرسول اسم من

أرسلت وكذلك الرسالة و أرسلت فلانا في رسالة فهو مرسل و رسول)¹

وتضمنت الرسالة معنى التوجيه . يقول الله تعالى : (أَمْ تَرَأْنَا أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْرُهُمْ

أَرْسَالًا). [مریم \ 83]. وترسل القوم، أرسل بعضهم إلى بعض رسولا أو رسالة، والرسالة ما يرسل، و رسالة الرسول ما

أمر بتبليغه عن الله.

1- ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ط1، دار صادر بيروت ، لبنان، 1997، ج11، ص183-284.

وفي لسان العرب أيضا: "والإرسال: التوجيه، وقد أرسل إليهم والاسم الرسالة والرسول والرسول".¹
ويؤكد الفيروز أبادي نفس المعنى والإرسال التسليط والإطلاق والإهمال و التوجيه والاسم الرسالة . فالرسالة مشتقة من معاني مختلفة منها : رسل ، إرسال ، أرسل وغيرها ، هي في الأصل الكلام الذي أرسل إلى الغير وكل أديب عرف الرسالة على طريقته ومنواله ، كما أنها تتضمن معنى التوجيه .

2: اصطلاحا :

تعرض الدارسون قديما لمفهوم الرسالة، حيث قدموا لها مفهوما خاصا بما فاختلفت تعريفاتهم حول هذا الفن، و من هؤلاء الدارسون نذكر ابن خلدون الذي يقول: «الرسالة تعني المخاطبات لمن بعد عن السلطان و تنفيذ الأوامر فيمن حجب عنه». . لقد ربط ابن خلدون كما هو ملاحظ في هذا التعريف أي "مفهوم الرسالة" بالرسائل السياسية التي توجه إلى الملوك والخلفاء والرسالة هي « ما يكتبه امرؤ إلى آخر معبرا عن شؤون خاصة أو عامة . و تكون الرسالة بهذا المعنى موجزة لا تتعدى سطورا محدودة، و ينطلق فيها الكاتب عادة على سجية بلا تصنع أو تأتق فيرتفع بها إلى مستوى أدبي رفيع.»²

إن الرسالة منذ القدم لها عدة معاني وعدة تعريفات وكل أديب ودارس عرّفها بطريقته، و رغبته من اجل تعريف هذا الفن الأدبي ألا و هو الرسالة فنجد الرسالة عند ابن خلدون تعني المخاطبات أي الإرشاد إذ أنه ربطها بالرسائل السياسية التي تكون موجهة خصيصا لطبقة الملوك والخلفاء كما أنها تخدم المصالح الخاصة والعامة للأمة.

¹ - ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ط1، دار صادر بيروت ، لبنان، 1997، ج11، ص283

² - ينظر، جبور عبد النور المعجم الأدبي ، ط1، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، 1979 م، ص 122.

وتمثل الرسالة قطعة من النثر الفني تطول وتقصّر لمشيئة الكاتب . قد تكون كتابتها بعبارة بليغة وأسلوب حسن ،رشيق وألفاظ المنتقاة الجزلة و الموجزة معاني طريفة ولطف الخيال والتحرّر من قيود الشعر والدقة في التعبير.الرسالة هي " محادثة مكتوبة بين شخصين متباعدين"¹.

الرسالة هي جزء من النثر الفني العريق و تكتب بأسلوب جميل خال من الأخطاء فهي توضح المعاني المتحررة من قيود الشعر وكل ما يتعلق به و تتميز بالسهولة و المرونة و دقتها في التعبير و هي احد فنون الأدب ومرتبطة بوجود المجتمع عبر مر العصور.

للرسالة إذن معنيان : أصلي و إصطلاحي : الأول يستفاد منه إن الرسالة هي الكلام أو الخطاب الذي يوجه خصيصا إلى الغير . أما من حيث المعنى الإصطلاحي ، فالرسالة تصبح دالة على البحوث أو الدراسات العلمية التي تتناول قضايا محددة في اللغة أو الأدب أو الفقه و غيرها .

تحمل الرسالة في طياتها معاني كثيرة تتراوح بين الدلالة على "المبحث" أو "المقالة" سواء كانت علمية أو أدبية ،و الملاحظ إن كتابة الرسائل أصبحت صناعة أو فنا يتطلب من الكاتب المنشئ السير في طريقها و المعنى المقصود هو أن الرسالة تدل على معاني كثيرة منها: ما يدل على مباحث ، منها ما يدل على مقالات علمية أو أدبية ، و كتابة الرسائل هي بمثابة الفن و يجدر على الكاتب السير في منوالها ، أي إتباع طريقها لأن الكتابة أصبحت ذلك الجسر الذي يصل الشخص من خلاله إلى أرفع المناصب ، فيجب على كاتب الرسالة أن يعتني بالألفاظ و الكلمات .

عرفت الرسالة تطورات كثيرة مسّت أصنافها و أشكالها و مكوّناتها ، وأول تحوّل عرفته الرسالة هو : كتابة الرسائل شعرا لا نثرا و لهذا كان الأدباء الأندلسيون يطلقون لفظ الرسالة أحيانا على القصائد و المقطوعات الشعرية

¹ - بوصوري ناصر ، فن الترسّل في العهد الرستمي مقارنة أسلوبية ، مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير ، كلية و العلوم الإنسانية قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة قاصدي مرياح ، ورقلة ، ص 29 .

التي ينظمها الشاعر على شكل خطاب موجه إلى صديق أو غيره في أي موضوع من المواضيع . و من هنا أصبحت الرسالة صناعة ذات قواعد و أصول .

تعدّ الرسالة فنا قديما شأنها شأن فن الترسيل ، وهي إحدى فنون الأدب وجزء من أجزاء الأدب الرفيع بقيمته الأصلية و هي نص ثري سهل ، فالرسالة من الفنون النثرية في الأدب العربي و التي بدأت في العصر الجاهلي و تطورت مع تطور الحياة في المجتمعات العربية كما جاء في مختار الصحاح في مادة رسل

"راسله مراسلة فهو مراسل و رسيل {.....} و الرسول أيضا : الرسالة."¹

المبحث الثاني: أنواع الرسائل الفنية

1) الرسالة الإخوانية.

تعد الرسالة الإخوانية نوع من أنواع النثر الأدبي، وهي تلك الرسائل التي تتخذ طابع ودّي وأخوي، إذ أنّها تساعد في تعميق العلاقات الاجتماعية وتعمل على تطويرها. وهي نوع من الكتابات التي تتناول العلاقات الإنسانية الخاصة بين الأفراد وتصور عواطفهم في حالات التهئة أو الشوق، العتاب، الاعتذار، أو النصح، أو المديح وغير ذلك من أمور الحياة، ولها تأثير بالغ في النفوس إذ يتبادلها الأفراد فيما بينهم.

تتميّز الرسالة الإخوانية بعدة مميزات فهي: تكتب بصياغة لغوية أدبية محضة في بداية المتن إلى الخاتمة، و ألفاظها مختارة بعناية وعباراتها مشحونة بالمعاني كما أنّها تميل إلى استخدام المحسنات البديعية.

تبدأ الرسالة الإخوانية بالتحية والبسمة والإنهاء بالسلام، فهي من إنشاء الكتاب فقد كانوا يتراسلون فيما بينهم متخذين من الرسائل وسيلة للتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم.

تعد الرسائل الإخوانية حاملة لأصدق المشاعر بأسلوب راقى وودي لا يخلو من جمالية الصبغة اللغوية العربية

¹ - بوصوري ناصر ، فن الترسل في العهد الرستمي مقارنة أسلوبية ، ص 33

عند الكتاب، حيث تنافسوا في إظهار براعتهم في هذا اللون من الرسائل، فوفروا لها المتعة الفنية من تصوير وصياغة جمعت بين المتعة الفنية والوجدانية، وهذا ما جعل الكتاب ينجذبون إليها ويتخذونها وسيلة لتصوير أحاسيسهم و مشاعرهم وما يجول في نفوسهم، "فهي رسائل شخصية وجدانية ذاتية ينشئها صاحبها لأمر ما في مناسبة معينة ليعبر من خلالها عن كوامن نفسية اتجاه حادث حدث، أو قضاء حاجة من ندله، أو صديق أو غير ذلك من له معهم علاقة."¹

تدور معظم وأغلب موضوعات الرسائل الإخوانية حول الجانب الإنساني، وما يرتبط من صداقة وأخوة وعواطف نبيلة ولقد أخذ كتاب الرسائل الإخوانية بتهذيب لغة رسائلهم، والدقة في أذواقهم واستخدام الأساليب المليئة بالقطع الزخرفية الأنيقة: "كإستخدام السجع والإعتماد على التشبيه في إيصال المعنى وإستخدام الإستعارات."²

تعد الرسائل الإخوانية نافذة مطلّة على أزهى عصور النثر الغني، وهي متمسمة بالطابع الإنساني، و هي تخلو من الرسمية تبرز فيها عواطف مرسلها، وتنقشع أحاسيسه الداخلية "وهي ما يكتب به الرئيس إلى المرؤوس، و المرؤوس إلى الرئيس، و النظير إلى النظير، وتشارك الكافة في الحاجة إليها"³

كانت الرسائل الإخوانية أقرب إلى الفن والتعبير الأدبي، فهي صدى النفس و رجع الوجدان ومخزن العواطف الإنسانية و كان لهذا الضرب من الرسائل أهمية كبيرة، وعبرت الرسائل الإخوانية عن كثير من الأمور أو القضايا الاجتماعية التي عمّت أرجاء المجتمع وصوّرت الكثير من العلاقات الشخصية والاجتماعية ومن بين أمثلة هذا النوع من الرسائل نذكر على سبيل المثال: الرسالة التي كتبها أبو عبد الله بن أبي الخصال إلى أهل بلده ناصحا لهم مذكرا بمقامه فيهم وإني مررت على بلدي فأوهى جلدي و أرهقني صعودا، واخلفني قياما وقعودا فقد كانت الأخبار

¹ - خالد إبراهيم يوسف، النثر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان، ط1، دار النهضة، بيروت، لبنان، ص92.

² - شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط5، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1980، ص133.

³ - أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في كتاب الإنشاء، دار الكتب المصرية، 1340هـ - 1922م ج9، ص5.

ترامت إليهم ،ونعتني حقاً لديهم ، فكلهم ناضر متوسم و باك متبسم ،إذا تَوَّهم الخطر استعبر ،وإذا عاين السلامة ضحك واستبشر، ومنهم من دفع العيان وقال : ما هكذا كان ،وما جاز الرب لولا الشيب وناهيك -أيديك الله- من قوم ينكرون الأنوار ولا يعرفون النهار ،قد تزاور عنهم المشيب ،وغمضوا عن وقائع الزمن وخلو من الهَمّ خلوهم من الفطن وغنوا عن وقائع الزمن و نزلوا الحضيض بدلا من الفتن، وحاش أن تكون لهم مخطأ، أو تجد لهم الإحداث حظا.يقول القلقشندي على هذا النوع من الترسل : " الإخوانيات جمع إخوانية نسبة إلى الإخوان ، و المراد المكاتبه الدائرة بين الأصدقاء " ¹

تعد الرسائل الاخوانية وسيلة التواصل الأساسية بين الأفراد ، وهذا ما جعل الرسالة الإخوانية أكثر أدبا وجمالا و رونقا لذلك كانت أدخل في الأدب و أقبل للتخييل.

2: الرسالة الديوانية .

وتسمى بالرسالة الرسمية أو الحكومية ، وهي تلك الرسائل التي تكون بين الجهات و الهيئات الحكومية المختلفة ، ويتم استخدام هذا النوع من الرسائل في جهات العمل .
ويتم هذا النوع من الرسائل بطابع رسمي ، فالرسالة الديوانية تتسم بالصرامة المتينة و الدقة الثابتة في الكتابة و الإلتزام بالحكمة لجميع قواعد الكتابة الصحيحة ، فالرسالة الديوانية هي التي ترسلها إدارة من الإدارات أو هيئة من الهيئات أو فرد من الأفراد .

¹ - بوضوري ناصر ، فن الترسل في العهد الرستمي مقارنة أسلوبية ،ص39.

تضمنت الرسائل الديوانية أوامر الخلفاء . يقول عبد العزيز عتيق بخصوص الرسائل الديوانية : " هي الصادرة عن ديوان الخليفة ، و الأمير يوجهها إلى ولاته وعماله وقادة جيوشه ، بل إلى أعدائه أحيانا منذرا و متوعدا ، كما ينبئنا الشريف الرضي في وصف رسائل أبي إسحاق الصابي¹ .

تنوع هذه الرسائل فهي تشمل : الرسائل التي تصدر في شأن تولية العهد و تولية القضاة و الولاة وما يتصل بأمور الرعية ، كما أنها تشمل الرسائل التي تكتب عن الخليفة أو الملك أو الوزير من أجل التهئة أو التعزية أو المعاتبة وغيرها.

ومن أنواع الرسائل الديوانية رسائل الجهاد التي يوجهها الخلفاء إلى قادتهم يكلفونهم بالغزو و الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الحق .

واعتمدت هذه الرسائل على المعاني الدينية ، كما أنها تضمنت أوامر الخلفاء وذلك من أجل اختيار مكانة الولاة أو عزلهم عن العرش الديواني ، وكانت هذه الرسائل تشبه المنشورات التي يوجهها الكاتب .

و المعنى المقصود هاهنا هو أن الرسائل الموجودة في ذلك العصر أو القائمة في ذلك الزمان كانت تشبه المنشورات التي يوجهها الخليفة إلى عماله في مختلف الميادين أو الأصقاع المختلفة.

تنجذب الرسائل الديوانية إلى كل ما يكتبه الكتّاب عن الخليفة ، الوزير ، الولاة وغيرها . فالرسائل الديوانية هي إذن كل ما يكتبه الكتّاب إلى الولاة وذلك من أجل تذكير الولاة و إخبارهم بالمسؤوليات التي يتوجب عليهم القيام بها ، وذلك من خلال : المحافظة على الأمن و العمل على إستقرار الأمور الحكومية أو الديوانية

لقد وضع عبد الحميد الكاتب قواعد فنية سار عليها كتّاب الرسائل الديوانية ، كما تضمنت الرسائل الديوانية آيات قرآنية وذلك من أجل تدعيم آراء الكتّاب و حججهم و براهينهم ، ومن خلال الآيات القرآنية تثبت

1- بوضوري ناصر ، فن الترسيل في العهد الرستمي مقارنة أسلوبية ، ص35.

أدلة الكتاب سواء كانت أقوال أو أمثلة ، حيث إتجه بعضهم أي بعض الكتّاب ، إلى تضمين أبيات الشعر ، وهذا ما أدى بالرسالة الديوانية إلى أن تكون معرضا لإظهار ثقافة و براعة الكاتب ومعارفه في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية .

كانت الرسائل الديوانية ترجمة واضحة لمواقف الدول السياسية و القانونية و علاقتها الداخلية و الخارجية ، فهي منبر الحكم في البلاد و مهما اتصفت بالرمزية إلا أنها كانت مراسا للأدب الراقى .

ومن أمثلة هذه الرسائل نذكر على سبيل المثال الرسالة التي كتبها ابن أبي الخصال إلى بعض الرؤساء يخبرهم فيها بتقلب الأحداث و تتابع الأمور ومما جاء في رسائله أنه كتب : " كتبت من حضرته الأمانة بصله الساكنة بعدله الجانحة إلى فضله و الدعاء له من الجمهور متوال و النداء إلى- الله سبحانه - في رمضان القبول عال . و الله يجيب فيه صالح الأدعية بعزته و قدرته ، ما تركه أيده الله بيد العمل ، وحضرتي فيه إلى حد النجاز ، و واجب الفرسان ، وما يتصل بهذا الشأن قد كمل على أتم ما يرضاه ، وجرى حسب ما يهواه ، وصحبتنا عادة يمتنه في تقضيه و بلوغ الغاية فيه." ¹

¹ - محمد لخضر بن ناجي ، فن الرسالة عند أبي عبد الله بن أبي الخصال دراسة فنية أسلوبية ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب و اللغة العربية تخصص أدب قديم ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2014 . 2015 ص 30 - 31 .

3: الرسائل الأدبية.

تعد الرسائل الأدبية أحد الفنون الثرية التقليدية القديمة في تراثنا الأدبي برزت في بداية القرن العشرين ،
شأنها شأن الترسّل و تعرف بأنها نص نثري سهل يوجّه الى الإنسان ، كما أنّها فن نثري يظهر مقدرة الكاتب و
موهبتة الكتابية و روعة أساليبه البيانية القوية .

تعد الرسائل الكتابية قطعة أدبية يمكن أن يكون الخطاب فيها بشكل عام و للرسائل الأدبية عدة أنواع
نذكر على سبيل المثال :

1- الوصايا : وهي تلك الرسائل التي أرسلها الخلفاء الراشدين الى من ولّوهم على الأمصار و يطلبون منهم
السير في الحكم .

2 - الرسائل الشخصية :

أ- الذاتية: هي تلك الرسائل التي يكتبها الشخص الى صديقه أو قريبه ، وتسمى بالرسائل الأهلية ، ويعبر
فيها الكاتب عن نفسه تعبيراً حرّاً بلا قيود .

ب- الأدبية: وهي تلك الرسائل التي يرسلها أديب الى أديب آخر مناقشاً إياه ، أو متحدثاً في قضية أدبية .

3 - الرسائل الرسمية (الإدارية): "وهي تلك الرسائل التي ترسلها إدارة من الإدارات أو هيئة من الهيئات
أو فرد من الأفراد"¹.

¹ - دانة العتوم ، فن الرسائل الأدبية ، موقع عربي e3arabi. com

- تتميز الرسائل الأدبية بمجموعة من الخصائص وهي :

كثرة الصوّر البيانية ، الصنعة البديعية ، وأيضا كثرة التخيل أو الخيال ، وتعطي للكلام رونقا و إشراقا بجودة العبارة و سلامة المعاني و سهولة الألفاظ .

احتوائها على الإقتباسات المأخوذة من المنثور و المنظوم ، ودخول الرسائل الأدبية الى فن الأدب.

تعد الرسائل الأدبية من العلوم الثرية ، إذ أنها من أبرز أشكال النثر التي لقيت تطورا عند طائفة من الكتّاب ، إذ تفنن الكثير في كتابتها و هي من بين الفنون الأدبية الشهيرة في المجتمع .

يمكننا أن نذكر على سبيل المثال الرسالة الأدبية التي كتبها طاهر بن الحسين إلى ابنه عبد الله لما ولّاه المأمون الرقة و مصر و ما بينهما (سنة 206هـ) "بسم الله الرحمان الرحيم ، أما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته ومزايله سخطه وحفظ رعيتك ، وألزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لميعادك ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومسؤول عنه ، والعمل في ذلك كلّ بما يعصمك الله ، وينجيحك يوم القيامة من عذابه ، وألم عقابه ، فإن الله قد أحسن إليك ، وأوجب عليك الرأفة بما إسترعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم (.....) وإدخال الراحة عليهم في معاشهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك ، وموقفك عليه ، ومسائلك عنه ، ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ، وفرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورؤيتك ، ولا يذهلك عنه داهل ، ولا يشغلك عنه شاغل ، فإنه رأس أمرك ، وملاك شأنك ، وأول ما يوفق الله به لرشدك" ¹

¹ -أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ،العصر العباسي الأول ،المكتبة العلمية ،بيروت، لبنان، ص 407-408.

المبحث الثالث: تاريخ فن الرسالة

1: الرسالة في العصر الجاهلي :

حظي فن الرسائل في العصر الجاهلي بعناية الباحثين ومؤرخي الآداب في بحثهم في فنون النثر الجاهلي ، حيث أن المجتمع العربي في العصر الجاهلي اشتمل في منظومته الثقافية على وجود الرسائل ، ولقد أكد ناصر الدين الأسد كثرة الرسائل الجاهلية في تتبعه حول موضوعات الكتابة و أدواتها في العصر الجاهلي، ومن يقرأ أخبار الجاهلية في كتب الأدب أو كتب التاريخ يعجب لكثرة رسائله و يكاد يلمس أن كتابة الرسائل في الجاهلية أمر مألوف ميسور شائع في شتى الشؤون ، إذ عرف العرب في جاهليتهم على الكتابة و التدوين .

تمثل الرسالة أحد فنون النثر الفني و قد ارتبطت بالعصر الجاهلي ، و تعد نصوص الرسائل في العصر الجاهلي وثيقة الصلة بالنثر الفني العربي ، إن فن الرسائل في العصر الجاهلي هي من أقدم المدونات و أكثرها أهمية في إستحقاقا للتدوين .

كانت الكتابة في العصر الجاهلي على قدر ضئيل من الإنتشار، فليس هناك تعليم منظم فمن كان يكتب في العصر الجاهلي لم يكن يحسن الكتابة بل كان يبذل وقتا طويلا للتعلم.

كانت الرسالة في العصر الجاهلي غير واضحة المعاني والسبب في ذلك يعود إلى أن الكتابة كانت غير موجودة إلا نادرا وقلّة أدوات الكتابة. فقد وجدت بعض الرسائل النثرية في العصر الجاهلي التي لا تخلو من بعض الهفوات.

كتبت الرسائل في العصر الجاهلي على أدوات بسيطة الموجودة في ذلك العصر، ومن أبرزها نذكر على سبيل المثال:رسالة من قيصر الروم إلى امرئ القيس وقد حملت هذه الرسالة معها حلة مسمومة منسوجة بالذهب،أما نصها فهو: "قد أرسلت إليك بجلتي التي كنت ألبسها، تكرمة لك. فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة. وأكتب إلى بخيرك من منزل منز. فلما وصلت إليه لبسها، واشتد بها سروره. وكان يوما صائفا شديدا الحرّ، فأسرع فيه السّم، وسقط جلده فلذلك سمي (ذا القروح)"¹

¹ - مصطفى بن محمد سليم الغلابي ، رجال المعلقات العشر ، المكتبة العصرية صيدا1993. موقع: <https://al-maktaba.org>

وفي حالته هذه يقول:

وَبَدَلْتُ قَرْحًا دَامِيًا بَعْدَ صِحَّةِ فَيَا لَكَ مِنْ نِعْمَى تَحَوَّلَ أَبُو سَا
لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَاخُ مِنْ بَعْدِ أَرْضِهِ لِيُلْبِسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا

وأيضاً رسالة قضى بن كلاب إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة العاذري في الشام، حيث تضمنت هذه الرسالة أن قضى طلب من أخيه أن ينصره في زعامته لمكة.

- كانت الرسائل المدونة في العصر الجاهلي قليلة، يغلب عليها الإيجاز والاقتضاب والتركيز، مع سهولة اللغة ووضوح العبارة، فالرسائل الفنية في العصر الجاهلي رغم قلتها إلا أنها تتسم بعبارات ومعاني واضحة وأسلوب راقى فهي الفن الأسمى والأرفع لدى الجاهليين.

(2) : الرسالة في العصر الإسلامي :

كانت الرسالة في العصر الإسلامي موازية للرسالة المحمدية ودافعة لها ، وقد حوت في طياتها على أساليب متأثرة بأسلوب القرآن ،ومن أهم الرسائل التي دونتها كتب الأدب هي تلك الرسائل التي بعثها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك و رؤساء القبائل من أجل نشر الدعوة الإسلامية ،وكانت تسمى في تلك الفترة بإسم الرسائل الديوانية لأنها صدرت عن الحاكم وهو الرسول صلى الله عليه وسلم .

كانت تلك الرسائل موجهة في تلك الفترة إلى الحاكم والملوك حول عرض الدعوة الإسلامية والتوحيد الخالص لله تعالى ،و نذكر على سبيل المثال: الرسالة التي كتبها النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي ملك الحبشة : "بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الإسلام إلى النجاشي ملك الحبشة :سلام عليك إني أحمد الله إليك ، الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ،وأشهد بأن عيسى بن مريم روح الله وكلمته

ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ،فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه كما خلق آدم بيده ،وإني أدعوك

وجنودك إلى الله عزّ وجلّ وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي، و السلام على من إتبع الهدى." ¹

¹ - حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ،ط1، دار صادر، بيروت،لبنان، 2002، ص 23-24.

ومن بين الرسائل أيضا الموجودة في العصر الإسلامي، الرسالة التي وجهها النبي - صلى الله عليه وسلم - لهرقل عظيم الروم : " بسم الله الرحمان الرحيم ،من محمد بن عبد الله و رسوله ،إلى هرقل عظيم الروم ، سلاما إلى من اتبع الهدى أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ،أسلم تسلم يؤتيك الله أجرك مرتين ،فإن توليت عليك إثم الأريشيين ."¹

تعدّ فن الرسالة في العصر الإسلامي صورة حية لمختلف نواحي الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية ،فقد اتسمت الرسائل في العصر الإسلامي بأسلوب الترغيب والترهيب والمزاوجة بينهما من أجل نشر تعاليم الدين الإسلامي والإيمان بحكمة وقدرة الله عز وجل والدعوة إليه .

نجد أن الإسلام قد اتخذ الكتابة دعامة من دعائمه وأدى ظهوره إلى فتح أفقا جديدة وأخرجه من الظلمات إلى النور، فحث على تعليم الكتابة و عظم شأنها قال الله تعالى في أول آية نزلت على رسول الله صلى عليه وسلم : " إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، إقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ " [سورة العلق \ الآيات من [1-5].]

و أصبحت الكتابة في صدر الإسلام من أجل ما سبق ،تستخدم استخداما واسعا ليس فقط في كتابة القرآن الكريم بل في كثير من شؤون الدولة الإسلامية ،كما تميز الرسائل في العصر الإسلامي بتأثرها الواضح بأسلوب القرآن الكريم وإيجازها وتأنقها الكبير في البلاغة ،حيث كانت مجمل الرسائل ذات طابع ديني .

¹ - رسائل النبي -صلى الله عليه وسلم - إلى الملوك الأمراء ، جريدة الأنباء ، أخبار الكويت ، 02-12-2011

3) : الرسالة في العصر العباسي :

يعد النثر العباسي نثرا امتزجت فيه الثقافات الأجنبية المختلفة ، وصورة الرسالة في هذا العصر تنوعت بين الرسالة الديوانية والرسالة الإخوانية ، ولقد حفظ لنا العصر العباسي طائفة من الكتاب من أجل إيضاح طريقة كتابتهم وما حدث من تطور في الكتابة الديوانية و أساليبها في هذا العصر ، فالنثر العباسي ، هو نثر تداخلت فيه أجناس مختلفة و فنون ثقافية متنوعة ، إذ أن العصر العباسي هو عصر معروف بكتابه وذلك من خلال طريقة كتابتهم الأصيلة ، فهي كتابة خالية من الأخطاء فقد كثرت الرسائل في هذا العصر كثرة لافتة للإنتباه منها : السياسية ، الأدبية و الإخوانية و الكتابة الديوانية بشكل خاص .

عرفت الرسالة في العصر العباسي مجموعة من الكتاب نذكر منها : إبراهيم بن عباس الصولي وهو أول كاتب لهذا العصر الذي قام بتحرير منشورات وكتب رسائل في الفتوحات التي كانت متنوعة ، وذلك من خلال تنوع الدواوين في العصر العباسي .

تعدّ الرسالة الإخوانية والأدبية نشاطا واسعا حيث ازدهرت ، واتخذها الأدباء لتصوير عواطفهم والتعبير عن مشاعرهم مثل: "الرغبة ، المديح ، والهجاء ، العتاب ، التهاني ، والإستعطاف ، وبذلك نافست الشعر في مجالاته".¹ شهدت الرسالة الإخوانية والأدبية ازدهارا واسعا، ولقد كان هذا الإزدهار والتطور الواسع للرسالة محفزا قويا لإتخاذ الأدباء الرسالة وسيلة أساسية لتصوير عواطفهم الشخصية والتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم وكل ما يدور بخاطرهم من مديح، وهجاء، وفخر وعتاب وغيرها.

و ظهر في العصر العباسي ما يسمى ب: ديوان الخليفة و فيه يتم كتابة الرسائل واستقبالها و لعلّ من أهم أولئك الذين دفعوا بهذا الفن للأمام هو عبد الحميد الكاتب بن يحيى مولى العلاء بن وهب القرشي ، هو فارس الأصل عربي الولاء ، أما في المجال الأدبي فنجد الجاحظ الذي خصص لهذا الغرض كتابا كاملا ألا وهو "الرسائل" .

¹ - محمد لخضر بن ناجي ، فن الرسالة عند أبي عبد الله بن أبي الخصال دراسة فنية أسلوبية ، ص12.

نجد أن الرسائل العباسية قد اشتملت على العديد من الموضوعات وتنوعت بتنوع مطالب الدولة ،فمنها موضوعات تختص بدعم الخلافة العباسية .مثل :الرسالة التي كتبها الجاحظ إلى أحمد بن داود: قال له : " أليس لا شيء إلا قدم أو حديث ؟ قال : نعم . قال : أو ليس القرآن شيئاً ؟ قال : نعم . قال : أو ليس لتقديم إلا الله ؟ قال : نعم . قال : فالقرآن إذن حديث ؟ قال : ليس أنا متكلم . " ¹

اعتمد العباسيون على الفرس في إدارة شؤون الدولة ،وهذا ما أدى إلى إقتباس كثير من أنظمة الحكم عن الفرس كما أدى ذلك إلى إتساع نطاق الجهاز الإداري للحكومة الإسلامية. لقد أنشأ الخلفاء العباسيون في هذا الصدد كثير من الدواوين التي تقوم بإنجاز أعمال متعددة، وخصصوا لكل ديوان بعمل من الأعمال الأدبية وأشرف على تنظيمها الفارسيون وإتباعهم .

تعدّ الرسائل في العصر العباسي من أبرز أشكال النشر التي لقيت تطوراً،وهي من بين الفنون الأدبية ولهذا أصبحت الرسالة صناعة ذات قواعد وأصول.

¹ - ابن عثمان عمر الجاحظ ،رسائل الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط1 ، مكتبة الخانجي بمصر ،القاهرة ، جزء 3 ، 1499- 1979 ،

المبحث الرابع: بناء الرسالة وخصائصها الفنية

1: بناء الرسالة:

دفعت عناية صاحب الصناعتين وشغفه بالأجناس الأدبية السائدة في عصره، إلى عملية التجنيس باعتبارها وصفا لما هو كائن، و النظر في الأجناس الأدبية، وفي هذا الإطار يقول أبو هلال العسكري: "وأعلم أن الذي يلزمك في تأليف الرسائل والخطب هو أن تجعلها مزدوجة فقط ، ولا يلزمك فيها السجع ، فإن جعلتها مسجوعة كان أحسن ، ما لم يكن في سجعك إستكرار وتنافر وتعقيد ، وكثير ما يقع ذلك في السجع ، وقل ما يسلم إذا طال من استكرار و تنافر. " ¹ فشغف أبو هلال العسكري لمختلف الأجناس الأدبية الموجودة في عهده دفعته إلى القيام بعملية التجنيس ، و الشيء الوحيد الذي يستلزم أو يشترط في تأليف الرسائل والخطب كونهما كلاما لا يلحقه وزن ولا تقفية لكن الفرق بينهما أن الخطبة يشافه بها الرسالة يكتب بها ، والرسالة عنده تصير خطبة والعكس صحيح لكنهما لا يجعلان شعرا إلا بمشقة.

1-1 الصدر أو الإبتداء :

كان لصدر الرسالة أهمية بالغة لأنه يعتبر مفتتح الخطاب ، فصدر الرسالة هي بمثابة مقدمة او تمهيدا فمن خلاله يتبدئ الخطاب نظرا لأهميته ومميزاته الخالصة والبالغة .
ولإبتداء وظيفة تحفيزية تتمثل في حمل المتلقي على الإنتباه ، ولهذا يشترط في صدر الخطاب الحسن والرشاقة لما له من آثار نفسية إيجابية ، والإبتداء أنواع إذ يمكن أن يكون بالبسملة كما كتب الجاحظ إلى بعض إخوانه : " بسم الله الرحمن الرحيم ، حفظك الله حفظ من وفقه للقناعة ، واستعمله بالطاعة ، كتبت إليك حال حالي من

¹ - حسين بنخلف ، الرسالة في النثر العربي : البناء و الخصائص 24 أوت 2013 <https://nayassir.wordpress.com>

كثفت غموه ، وامتلكت عليه أموره ، واشتبه عليه حال دهره ."¹

ويكون أيضا بالتحميد لهذا جعل أكثر الإبتداء بالحمد لله ، لأن النفوس تشوق للثناء على الله فهو داعية إلى الإستماع .

أما صدر الرسالة يتضمن مكوّنات أخرى إلى جانب التحميد ومن ذلك السلام يقول أبو هلال العسكري: "وتكتب في أول الكتاب سلام عليك وفي آخره وسلام عليك"² وأيضاً عمر بن العزيز مخاطباً أهل الشام "سلام عليكم ورحمة الله ، أما بعد : فإنه من كثر ذكر الموت قلّ كلامه ومن علم أن الموت حق رضي اليسير ، والسلام."³ فهناك طائفة أو مجموعة من الكتاب استعملوا ألفاظاً وعبارات في صدور رسائلهم مثل : سلام عليك والغرض منها هو ربط الصدر بالمقاطع الأخرى من الرسالة. وإلى جانب ذلك نجد عبارة أما بعد يقول صاحب الأحكام "ونظرت -أعزك الله- في صدور الرسائل واستفتاحها فوجدتها أيضاً تختلف ، فكانوا في الزمان الأول يكتبون في صدور رسائلهم : أما بعد"⁴.

كانت الرسائل في صدور استفتاحها مختلفة إذ أنهم و منذ الوهلة الأولى كتبوا في صدور رسائلهم عبارة أو كلمة أما بعد إذ أنّها تستعمل في صدر الرسالة فقط لا في غيره من المقاطع الأخرى .
وبهذا يصبح الصدر مقطعاً من الرسالة يتألف من عناصر ثابتة وأخرى متغيرة فكان الكتاب يستفتحون رسائلهم من خلال : تحديد إسم المرسل و المرسل إليه وأيضاً التحميد ، وسلام عليك ، البسمة .

1- أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، العصر العباسي الأول ، ص 182

2- حسين بنيخلف ، الرسالة في النثر العربي : البناء و الخصائص 24 أوت 2013 <https://nayassir.wordpress.com>

3- المرجع نفسه

4- المرجع نفسه

2-1 : التلخيص :

يشير بعض الكتاب إلى أن بين الصدر و الغرض روابط يجب الإشارة والإنتباه إليها ، لأن الكاتب لا ينتقل مباشرة إلى غرضه بل يمهّد له بعبارات تنبه المتلقي إلى ما سيأتي ، و هو ما يعرف بـ التلخيص وهناك مجموعة من الكتاب أشاروا إلى وجود رابط يجمع بين الصدر و الغرض و هو ما يعرف بـ التلخيص وهو أن ينتقل الكاتب مما ابتدأ به الكلام إلى المقصود و الدقّة في المعنى ، و أن لا يشعر المتلقي بالانتقال بين المعاني المختلفة و الشيء الوحيد الذي يشترط في هذا الانتقال هو التناسب بين مفتتح الكلام و الغرض.

و يقول التهانوي : " وعلى الإنتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصود مع الرعاية المناسبة"¹، إذ استعمل الكتاب الإشارة في رسائلهم يقول أبو الفتح بن جني : " و إذا كان المرسل حاذقا أشار في تحميده إلى ما جاء بالرسالة من أجله."²

إن مثل هذه الإشارات و غيرها من العبارات هي التي تسمح بالتخلص من الصدر إلى الغرض ، علما بأن هذا التخلص يتم وفق تقنيات خاصة تعرف عليها الكتاب القدامى ، يقول أبي القاسم الأشبيلي في أحكام صنعة الكلام : " ورأيت - أعزك الله - الرسائل إلى قسمين : أحدهما ابتداء الخطاب و الثاني ردّ الجواب ، و ما توصلوا إليه من الألفاظ في ابتداء الخطاب إلى غرض الكتاب ، قولهم كتبت ، وكتابي ، وكتابنا."³ للرسالة صنفان و هما ابتداء الخطاب وهي الرسالة الأصيلة أو الإبتدائية ، و الثانية هي الرسالة الجوابية إذ سماها أبي القاسم الأشبيلي بـ : ردّ الجواب و لكل صنف منها خصائص و التي تعدّ العلامة الفارقة التي تميّز الصنف أو الجزء الأول من الثاني وذلك من خلال الأدوات المستعملة و المعتمدة في التخلص من الصدر إلى الغرض.

يقول إبراهيم بن المدبر : " و ليكن في صدر كتابك دليل واضح على مرادك ، و افتتح كلامك برهان شاهد على مقصدك فإن ذلك أجزل لمعناك و أحسن لاتساق كلامك ، ولا تطل صدر كلامك إطالة تخرجه عن حدّه و لا تقصر به عن حقّه."⁴

¹ - حسين بنخلف ، الرسالة في النثر العربي : البناء و الخصائص 24 أوت 2013 <https://nayassir.wordpress.com>

² - المرجع نفسه.

³ - أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ص 189.

⁴ - المرجع السابق .

يعرف التلخيص بانتقال الكاتب من مقدمة الرسالة إلى غرضها بواسطة أدوات لغوية تنبأ بهذا الانتقال وتمهد

له ، كما تدل على نوع من أنواع الرسائل الفنية

1-3 : الغرض :

أما المقطع الثالث في الرسالة هو الغرض ، ويسميه البعض ب المتن ويعد المقطع الركن الأساسي لأية رسالة ، لذا يحرص الكاتب على التمهيد له و حسن عرضه و تقديمه ، و جمال التعبير عنه ليلقى الإستجابة و الإقبال من طرف المرسل إليه ، و ليحقق المقصد منه ، فالغرض هو جزء من أجزاء الرسالة و يطلق عليه بعض الكتّاب المتن و يعد الجزء الذي تتكون منه أية رسالة و هذا ما أدى ببعض الكتّاب إلى التمهيد و الإرشاد إليه و حسن تقديمه و أن يكون التعبير سليم من أجل تحقيق المقصد و الغاية المرجوة .

تختلف أغراض الرسالة باختلاف الرسائل ، ففي الرسالة الإخوانية يكون الغرض منها هو " المدح ، أو

العتاب أو الإعتذار أو التهئة أو الشكوى أو الرثاء أو التعزية (...)." ¹

يقول أحمد بن يوسف في رسالة تندرج ضمن غرض التهئة : " أما بعد ، فإنه ليس من أمر يجعل الله لك فيه سرورا إلا كنت به بهجا ، قد بلغني أن الله وهب لك غلاما سريّا ، أجمل لك صورته ، و أتم خلقه ، وأحسن البلاء فيه عندك ، فاشتدّ سروري بذلك ، و أكثرت حمد الله عليه ، فبارك الله فيه ، و جعله بارا تقيا (...)." ²

هنا أحمد بن يوسف أحد إخوانه بمولوده الجديد ، حيث إنه استفتح رسالته بعبارة أما بعد تلخص إلى غرضها الإخواني في قوله قد بلغني ، مصورا بذلك حسن جمال المولود معبرا عن سروره و فرحه بقدم هذا المولود لهذه الحياة و داعيا للمولود و لوالده و أن يبارك الله في المولود وأن يجعله بارا ، تقيا ، سعيدا ومطيعا لوالده.

لقد كان لبعض القدامى وقفات نقدية قيّموا من خلالها أنواع الرسائل . يقول ابن الأثير عن رسائل الصّابي : " ولقد اعتبرت ما كتبه فوجدته قد أجاد في السلطانيات كل الإجادة و أحسن كل الإحسان ، لكنه في الإخوانيات مقصّر و كذلك في كتب التعازي." ³

¹ - حسين بنيخلف ، الرسالة في النثر العربي : البناء و الخصائص <https://nayassir.wordpress.com>

² - المرجع نفسه.

³ - المرجع نفسه.

يعكس هذا النص النقدي نوع النشاط الذي كان سائدا في تلك العصور ويدل كذلك على وعي القدامى وحرصهم الشديد و مراعاتهم لأنواع الرسائل و أصنافها ، إذ إن الغرض يكسب الرسالة سمات و مميزات خاصة بها ، و قد تكون هذه المميزات شكلية أو أسلوبية أو دلالية ، أو أدبية ، وذلك من خلال تعلقها بحجم الرسالة من حيث الطول أو العرض و أيضا نوعية الجملة سواء كانت فعلية أو اسمية و تقدم الإستشهادات و البراهين و أيضا المحسنات البديعية كالسجع .

يقول عبد الفتاح كليطو في هذا الصدد : " سار السجع الذي عرف ازدهارا متأقفا في القرن الرابع ، ينافس جديا الشعر . حين نقرأ رسائل الهمذاني مثلا ، نلاحظ أن الأغراض الشعرية التقليدية قد تحولت إلى نثر ، انصهر المديح في قالب القصيدة كما في قالب الرسالة و المقامة ."¹

1 - 4 : الخاتمة :

أما المقطع الأخير أو الوحدة الأخيرة من وحدات بناء الرسالة هي : الخاتمة و يسميها بعض النقاد القدامى ب: المقطع ، و الخاتمة " و هي آخر ما يعيه السامع ، و يرتسم في نفسه ، فإن كان مختارا جبرا ما عساه وقع فيما قبلها من تقصير و إذا كانت غير مختارة كان بخلاف ذلك ربما أنست محاسن ما قبلها ."²

فالإعتناء إذن بالخاتمة من تجويدها و تحسينها و الحرص الشديد عليها لها أثر بليغ في النفس وذلك من خلال اتخاذها أشكالا و عناصر متعددة و مختلفة نذكر على سبيل المثال الدعاء الذي يرسل للمرسل إليه ، مع تحديد نوع العلاقة التي تجمع بين المتراسلين المرسل و المرسل إليه و حكم أو غرض الرسالة فيها .

يتعرض صاحب أحكام صنعة الكلام إلى أمر الدعاء و يوضحه توضيحا شاملا و ذلك من خلال قوله :

" و مما يجب على الكاتب : أن يتحرى في الدعاء الألفاظ الرائقة ، و المعاني اللائقة ، و يتوخى من ذلك ما يناسب الحال و يشكل المعنى و يوافق المخاطب ."³

¹ - حسين بنيخلف ، الرسالة في النثر العربي : البناء و الخصائص <https://nayassir.wordpress.com>

² - حذير البشير ، البناء و التشكيل الفني للأشكال النثرية عند محمد البشير الإبراهيمي . فنا الخطابة و الترسل نموذجا . مجلة

أدبيات ، مجلد 3 ، العدد 1 ، 31 - 8 - 2021 ، ص 35 .

³ - المرجع السابق .

" أما بعد ، فإن شجرة وعدك قد أورقت ، فليكن ثمرها سالما من جوائح المطل و السلام . " ¹

- ويختتم عبد الحميد رسالته إلى الكتاب داعيا و مسلما : " تولانا الله و إياكم يا معشر الطلبة و الكتبة ، بما

يتولى به من سبق علمه بإسعاده و إرشاده ، فإن ذلك إليه و بيده ، و السلام عليكم ورحمة الله و بركاته . " ²

2- خصائص الرسالة:

تكسب الرسالة خصائصها من فنها الأدبي ألا و هو النثر الفني الأصيل ، كما أنها تعتبر جنسا أدبيا قائما

بذاته . تستند الرسالة من مكونات و سيمات تميزها عن غيرها .

ترتبط الرسالة ارتباطا وثيقا بالكتابة وهذا ما أكده الجرجاني هي المجلة المشتملة على قليل من المسائل التي

تكون من نوع واحد ، و المجلة هي الصحيفة التي يكون فيها الحكم . و الرسالة لها علاقة وطيدة بالكتابة و كل ما

يتعلق بتا ، حيث شبهها الجرجاني بالمجلة .

كما نشير إلى أن " الكتابة الفنية بدأت مع الرسائل ثم حطت أول خطواتها مع الكتابة الديوانية مع وجود

الكاتب المثقف . " ³

تتميز الرسائل الفنية بالمرونة الأسلوبية و الفنية ، ذلك أن تلك المرونة تسوغ للرسالة الفنية خصائص الشعر

من خيال و تصوير وتعبير عاطفي و العناية بالزخارف المعنوية و اللفظية ، فليس من الضروري أن تستمد الرسالة

خصائصها من الشعر فتصبح بذلك شعرا منشورا ، لأنها قادرة على خلق شعريتها بنفسها .

تدعو الرسالة الفنية لدراسة معمقة لموضوع الرسالة و لذلك من أجل اكتشاف أنواعها في مختلف العصور

، و الهدف من ذلك معرفة التحوّلات التي طرأت عليها عبر الأزمنة و أيضا تحديد الخصائص التي اكتسبتها في كل

¹ - أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ص64

² - المرجع نفسه ، ص402.

³ - محمد العمري في بلاغة الخطاب الإقناعي ، ط1 ، دار الثقافة الدار البيضاء ، 1406هـ - 1986م ، ص151.

مرحلة من مراحل تطورها سواء كانت لفظية أو أسلوبية أو دلالية ، وذلك من أجل إسهامها في تزيين لموضوع الرسالة بصفة عامة و الرفع من مكانتها و إعلاء شأنها في تاريخ الأدب العربي .

يمثل السجع لون من ألوان الأجناس الفنية النثرية كما أنه عبارة عن حلية أو زينة يتزين بها الأدب بشكل عام و النثر بشكل خاص ، وللسجع أنواع ويشير أبو القاسم الكلاعي صاحب أحكام صنعة الكلام قائلا : " وتأملت أيضا - أكرمك الله - الأسجاع فوجدتها على ضروب و أنواع ."¹

إن تنوع السجع يسمح للرسالة بالاختيار بين مختلف الأصناف و مواضيع التأليف و الرفع من قيمة النص و إعلاء شأنه ، فمن خلاله يستطيع الكاتب إبراز قدراته و مهاراته الفنية و الأدبية ، وهناك بعض من المؤرخين و الدارسين اشتروا شروطا على الطابع الفني ل السجع و هذا ما أكده صاحب المثل السائر على هذه الشروط قائلا : "واعلم أن الأصل في السجع إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام."²

تتميز مجموعة من الرسائل بنزعتها و حملتها الرمزية ، التي تساهم في إغناء دلالتها و إعلاء لقيمتها و تحقيقا لمقاصدها ، ومثالا على ذلك - الرسالة المرابطية - التي تتميز بنزوعها الرمزي ، فاستخدمت الإشارات التاريخية و وظفت معاني التراث في صور رمزية.

تتضمن الرسائل مجموعة من الإشارات و الرموز المهمة الدالة على طبيعة هذا الجنس الأدبي وذلك أن الرسائل الأدبية تشكل لونا أدبيا رفيعا تحقق أهدافها و مقاصدها الأدبية و الفنية .

¹ - حسين بنيخلف ، الرسالة في النثر العربي : البناء و الخصائص / <https://nayassir.wordpress.com>

² - المرجع نفسه.

- وصفت الرسائل بالفن الثري الذي اتخذ من الرسالة وسيلته في التعبير و بالتالي تصبح لونا من ألوان النثر

الفني الجميل وضربا من ضروبه.

- للرسائل الفنية أهمية كبرى و دور عظيم يتجلى في خدمة المصالح الخاصة و العامة للأمة .

الفصل الثاني :

فن الرسالة عند البشير الإبراهيمي

المبحث الأول : الخصائص العامة للكتابة الأدبية عن الإبراهيمي:

لقد كان الإبراهيمي أمة وحده في الأسلوب، ونسيجا متفردا في الكتابة الأدبية، ولم يتعدى هذا-في ظني- لكاتب بعده حتى الذين قلّدوه وقعوا دونه، ولم يستطيعوا أن يجاروه ولعلّ اكتسابه لهذه المهارة الأدبية راجع إلى أسباب منها الموهبة الفطرية، وسعة الإطلاع الموسوعية التي تجعل المرء يظن أن هذا الرجل قد جمعت علوم الدنيا بين عينيه ينتخب منها ما يشاء.

للإبراهيمي أسلوبان: أسلوب مرسل ليس فيه شيء من التوازن والترادف بل يطلق فيه الكلام إطلاقا، ولا يقطع أجزاءه، ولا تتساوى عباراته، ويظهر هذا الأسلوب بجلاء في بعض رسائله الديوانية ورسائله العلمية الوحيدة في المتن، وأسلوب أدبي مترسل، فيه شيء من التوازن والترادف والإزدواج، ويقوم هذا الأسلوب على تقسيم العبارات وبراعة الموازنة بين الجمل، إذ تتعادل فيه الألفاظ والتراكيب. ويظهر هذا النوع في جلّ كتابات الإمام حتى غدا سمة غالبية عليه يعرف بها، وقد ينوع الإمام مستويات أدائه ضمن النص الوحيد.

فيتساوى الأسلوبان معا أو يطغى أحدهما وهذا راجع إلى المقام أو مقتضى الحال كما هو معروف قديما.

وتظهر في هذا الأسلوب الجزالة والفخامة، والتفنن في صياغة العبارة والدقة في تأليفها.

- الإعتماد على اللغة المستمدة من القاموس اللغوي القلسم وإحياء العبارة الفخمة تخرج باللغة من كونها

مجرد أداة للتواصل إلى لغة تجمع بين التواصل والجمال الفني، فبرع بهذا في تصوير النزعات الإنسانية.

- إعتماد الإقتباس والتضمين بكثرة الوفرة في توظيف الإشارات الأدبية والتاريخية، ويرجع هذا إلى تشبعه

بالثقافة العربية والإسلامية.

- حشد الصور البيانية والمحسنات البديعية ويدخل هذا في باب التكلف لأنه لا استكراه ولا تنافر ولا تفقد فيها، بل جاءت سمة دالة على الصنعة الفنية.

- السخرية: كثيرا ما كان الإمام يوجه النقد اللاذع للمجتمع في صورة ساخرة، ولعل هذا الأمر أبلغ في النقد والحق الوجيعة، "والحق أن السخرية لا تختلف كثيرا عن العنف، لأن استخدام سلاح السخرية في الأدب هو في حد ذاته ضرب من العنف، فإنما العنف وقصف الخصم بقذائف من الكلام، وقصم ظهره بسهام من القول، في حين أن السخرية تهكم معنوي شدي اللذع، ثقیل الوطأ، عنيف الوقع."¹

- والإبراهيمي بارع في إيراد السخرية والتهكم وهو في هذا يجيل على نماذج من السخرية عند الإمام على مستوى العبارة الطويلة والكلمة المفردة القصيرة، وحتى على مستوى الحرف والنقطة ومن أمثلة ذلك، ماجاء في سياق حديثه عن المرأة التي تزعم لها الحكومة الفرنسية الحرية يقول " المرأة الجزائرية تنتخب، والحكومة الجزائرية تريد لها أن تنتخب (...) والفرق بسيط، مادام الفارق نقطة (...) وقاتل الله هذه الخاء، فما أعسرها في المخرج، وما أسعد من لا ينطق بالخاء."²

- النزعة التعليمية والإصلاحية: لم يكتب الإبراهيمي للترف الفكري أو التألفي إلا في النزر القليل بل إتخذ موقفا منذ البداية يقوم على الصراحة والوضوح والإخلاص، وشارك شعبه بالدرجة الأولى همومه الاجتماعية والسياسية ومواقفه الوطنية ورن كالطود الشامخ لمواجهة يد العابتين بالدين والأمة ، الأمر الذي وصل به إلى حد إنكار ذاته في سبيل خدم قضيته الوطنية التي تدر لها نفسه كواقعة إجتماعية، وجاءت بهذا المقتضى جل كتاباته كواقفة اجتماعية.

¹-البشير خذير، أهم خصائص الكتابة الأدبية عند محمد البشير الإبراهيمي وروافدها، المجلد 6، العدد 18، 2020/12/25، ص 433.

²-المرجع نفسه ، ص 444.

وهذا الإلتزام لم ينجم من فراغ بل نجم عن إحساس عميق بالمسؤولية الملقاة على عاتقه باعتباره رجل العلم والإصلاح.

- ونتيجة لهذا الشعور ظهر عند الإمام النزعة التعليمية فقد كان يرى أن التعليم أساس كل إصلاح فبذل الوسع في إنشاء المدارس والمعاهد والمساجد وألقى فيها الخطب الرثانة، وطافت رسائله البليغة أقطار المعمورة طلبا للدفع المادي والمعنوي للمشاريع التعليمية، وطفحة بعض مقالاته للمصطلحات العلمية التي حاول شرح بعضها، ومن أمثلة ذلك ماورد في مقاله -الطلاق- وهو حلقة من مقال المسلسل المعنون ب: من مشاكلنا الإجتماعية، فكأننا به في هذا المقال يضع تعريفا للطلاق فيقول "الطلاق حل عقدة، زيت حبال، وتنزيف شمل، وزيال خليط، وانفضاض"¹.

1-1: التأثير بالقرآن الكريم

لقد كان القرآن ولايزال قبلة للنقاد والعلماء وكتّاب العربية الأول الذي أعجز الفصحاء وأدهش البلغاء، فوقف أرباب البيان أمامه عاجزين، ووقع البلغاء دونه مقصرين، وهو النموذج المحتذى أسلوبا ومضمونا، وقد عرف العرب الشعر وسجع الكهان والخطب والرسائل وكانت هذه الفنون الإبداعية شاهدة لهم على البراعة التعبيرية، فلما نزل القرآن الكريم أظهر لونا فذا من الإعجاز والأساليب فارتقت به.

إن المتتبع في كتابات الإبراهيمي يرى تأثره البالغ بسحر القرآن الكريم فقد عاش الإبراهيمي بالقرآن ومن أجل القرآن فقد كان دعاؤه في المسجد، ونظامه في حياته ومنهاجه في العمل ودستور دعوته، سرى فيه مسرى الروح من الجسد.

وقد اكتسب الإبراهيمي قوة أسلوبه المتمثل في قوة العبارة، وجزالة اللفظ ، وحسن الإيجاز مع دقة التصوير من القرآن، لأن القرآن الكريم الدعامة التي تركز عليها الكتابة الفنية لدى الإبراهيمي فأغلب شواهد الإمام

¹ البشير خذير ، أهم خصائص الكتابة الأدبية عند محمد البشير الإبراهيمي و روافدها ، ص 447

شواهد نصية من القرآن الكريم والسنة النبوية، والذي يلاحظ أن هذا الأمر لم يقع لغويا بل كانت خطأ منهجيا قصد إليه الإمام في جميع أعماله الكتابية من خطب ومقالات ورسائل. وتعليق هذا راجع إلى :

- إيماده على الشاهد القرآني، في كتاباته من منظوم ومنثور

- سلوكه القرآني في أخلاقياته وفي حياته العامة.

- مناداته في أكثر من مناسبة إلى جعل القرآن دستورا ونبث الدساتير الوضعية.

وللإبراهيمي فلسفة في التعامل مع هذا الكتاب الرباني فسر القرآن ليس في هذا الحفظ الجاف الذي نحفظه، ولا في هذه التلاوة الشاء التي نتلوها، وليس من المقاصد التي أنزل لتحقيقها تلاوته على الأموات ولا اتخاذه مكسبة والإستشفاء به من الأمراض الجسمانية، و إنما السر كل السر في تدبره وفهمه وفي اتباعه والتخلق بأخلاقه من آياته قوله تعالى: " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها" [آل عمران/ 103].

كان الشيخ البشير الإبراهيمي يقتبس من القرآن ألفاظه مما أهله لإكتساب معجم لغوي رفع بأسلوبه إلى مصاف أصحاب الصنعة من الأدباء وكبار الكتّاب، فإنه لا يتورع كذلك في أخذ جمل بحالها من القرآن، فقد جاء في مقال له بعنوان "فصل الحكومة عن الدين" الذي دافع فيه عن الدين الإسلامي ويجب أن لا يفصل عن الحياة السياسية لأنه دستور الله وحبل المتين وتكلم أيضا عن القضاء الذي هو ميزان الشريعة وقانونها الأسمى وأساس ملكها.

لقد كان القرآن ومازال المنبع الذي سالت عليه قرائح الشعراء والأدباء والعلماء، فهم واقعون تحف سلطانه خاضعون لبيانه وكلهم إما مقتبس من لفظه ، أو مستهم من معانيه.

في بيان منه إلى أهمية هذا الدستور الرباني الشامل لجميع نواحي الحياة، سينير الشيخ الإبراهيمي إلى هذا المعنى فنجدده يقول: " القرآن كتاب الإنسانية العليا استشرقت إليه قبل أربعة عشر قرنا حين ضامها أبنائها فعقّوها فارتكسوا في الحيوانية السفلى فأخلدوا إلى الأرض فأكثروا فيها الفساد، فأنزله الله من السماء ليصلح الأرض، وليدل أهلها المستخلفين عليها من بني آدم على الطريق الواصلة بالله، ويجدد ما ورث من علائقهم به، وما أشد شبه الإنسانية اليوم بالإنسانية قبل نزول القرآن في جفاف العواطف وضراوة الغرائز وتحكم الأهواء والتباس السبل وتحكيم القوة وتغول الوثنية المالية¹.

إن الناظر لسيرة وكتابات الإبراهيمي عامرة بالقرآن العظيم الذي يفوح عبقه في نفس الشيخ شعرا ونثرا، وكما أنه وضع معنى الجهاد ودوره في إعلاء كلمة الحق إذ إنه يدعو إلى جملة صالحة من الأخلاق والمبادئ والقيم.

2-1- التأثير بالحديث النبوي الشريف:

تنبت جمعية العلماء المسلمين مشروعها الذي يقوم على الدين والعلم والأخلاق، لأنها رأت منذ البداية أن إصلاح العقيدة أساس كل إصلاح.

كان الإبراهيمي كثير الإستلهام لمعاني الحديث النبوي الشريف كثير الإستحضار له مما يعكس مدى تشبعه بالثقافة الدينية والتي على رأسها بعد القرآن، الحديث النبوي الشريف، فلا تكاد توجد خطبة من خطبه، أو مقالة من مقالاته، إلا و استشهد فيها بآية أو بحديث نبوي، لأنه أدرك بفطرته السليمة لهذا الأخير من عظيم أثر على النفوس، وإذا كان القرآن الكريم أعظم رافد للبلاغة العربية وأهم معين للأدب العربي فإنه لم يكن في ذلك وحده، فقد جاء في الأحاديث النبوية الشريفة كذلك طرازا قوليا رفيعا، ورأى فيها العلماء والأدباء سموا على مستوى الخطاب المألوف لديها واهتموا براويتها وحفظها، ثم كتابتها وتدوينها، والبحث عنها والقضاء بها والعمل بها.

¹ -البشير خدير، أهم الخصائص الكتابية الأدبية عند الابراهيمى وروافدها، ص 452.

وهكذا يستمر الإبراهيمي في النهل ويستقيل من معانيه العذبة، ففي المقال الذي عنوانه "فصل الدين عن الدولة" يتحدث عن المكيدة التي تكيدها الحكومة الفرنسية للمجتمع الجزائري وذلك بإعطاء المرأة حق الانتخاب، الذي ما أرادت من ورائه إلى عمر الإسلام بأنه لا يعترف بخروج المرأة فكيف بانتخابها، ولكن الإبراهيمي بين أن الإسلام سبق المدنية الأوروبية إلى هذه القيم النبيلة، وساوى بين الرجل والمرأة إلا فيما يقع فيه الاختلاف في الطبيعة والطبائع.

ويستعمل الإستشهاد كذلك في المقال الذي نشره في مجلة الأخوة عام 1954م، تحت عنوان "أعيادنا بين العادة والعبادة" يتحدث على أن عباداتنا أصبحت يكتنفها الجمود والذي أفرغها من القيم الإسلامية والإنسانية الجليلة وحولها إلى عادات روتينية وتقاليد بالية، تسودها الرثابة والملافة المقيتة، في حين أنه: " لو أوتينا الرشد لكان لنا من أعيادنا الدينية الجليلة مواقف لتصحيح الإنتساب ومواقيت لتصفية الحساب [...] فلا يذهب الخراسون مذاهبهم في العلل والأسباب، فهم بعض تلك الأسباب، ولا يتعب أنفسهم في الوصفات لدواء أمراضنا فهم بعض أمراضنا، ونحن نعرف بدائنا ودوائنا، (...) فهي التي أفسدت علينا ديننا و دنيانا وإذا فعلت هذه الحمية فعلها فحقت الأغلاط، فتجدد النشاط، فهدينا إلى سواء الصراط".¹

قد أتى الإمام على أغلب عيون الشعر بالحفظ، الإستعاب وكان الإبراهيمي يحفظ ديوان شوق ضيف حتى يعد نفسه راوية شعره.

لعلّ مقال الشيخ الإبراهيمي الموسوم بعبد الحى الكتاني، وما شأنه؟ الذي شنّ فيه هجوما على محدث المغرب الأكبر عبد الحى الكتاني يبين بوضوح مدى إستحضار الإبراهيمي لنصوص شعرية التي نرى مثلها واضحا

¹ -البشير خدير، أهم الخصائص الكتابة الأدبية عند الابراهيمى وروافدها، ص 59

في مفرداته، ويسمع إلى حد بعيد في بناء معجمه اللغوي الذي أحيل ذهنك إلى روائع فصول البلاغة القدامى حتى كان الرجل نسيج وحده في سحر البيان، وبهاء الدباجة ورونق التعبير.

ففي هذا المقال يقول الإبراهيمي: "وكانوا - أي العرب - غصها وسموما يوم كان فيهم مرة وحنضلة".¹

وقد أخذ عبارة حنضلة من قول الشاعر الأخطل النصر في هجاء بني كليب بن يربوع رهط جرير:

ونرفدهم أبناء حنظلة الذرى حصى يتحدى قبضة كل فاتك

وكان الأخطل النصراني يجري على عادة هؤلاء الثلاثة في نقائضهم، فقد كانت الحرب سجال بين الفرزدق دق وجرير وكلاهما تميميان ولكن من بيتين مختلفين وبين الأخطل والنصراني كما هو معلوم، وقد أذكى بنوا أمية القومية فعدا الشعر يفتخر بالأنساب وأيام الجاهلية ولعل هؤلاء الثلاثة ممن مثلوا هذا المشهد.

3-2: التأثر بالشعر العربي:

يلحظ المتأمل في النثر الإبراهيمي إشارات واضحة، تؤكد أن موروث الشعر العربي القديم عمود الارتكاز، يفرض حضوره على كثير من النتاج الأدبي عند الشيخ البشير الإبراهيمي، ويتجلى لدى الباحث الشعور بمدى تميز الأدب الإبراهيمي من حيث إتصاله بالتراث وشدة ولائه للقيم والتقاليد التي تمتد جذورها إلى الماضي العريق.

ومن هنا جاء فكرة أفراد دراسة في هذا المبحث، نعي يتتبع أثر التراث الشعري القديم في الكتابة النثرية عنده، والتعرف على حقيقة الأثر من خلال تحديد طبيعة العلاقة بين المؤثر والمتأثر، والكشف عن الكيفية التي تمت بها الإستعادة، ومدى الإفادة من الموروث، فحاولت تتبع مظاهر التأثير التراث الشعري في المعجم اللغوي، على مستوى التركيب اللغوي وعلى مستوى المعاني.

¹ -البشير خذير، أهم الخصائص الأدبية عند الإبراهيمي وروافدها، ص 464.

مما يدفع بفكرة تشبع الإبراهيمي ما يروى عنه من العجب في حفظ الشعر واستظهاره له وذلك لما أتاه الله من ذاكرة قوية وذهن صيود من المعاني، وهو عليم الأدب قديمه وحديثه، ونثره وشعره، ويحسن الإستشهاد بعيون الشعر العربي ويرضع مقالاته وخطبه بها، وواقعه عن النفوس، وتأثيره على الألباب والإبراهيمي خير من يعلم بالوسيلة التي تستمال بها النفس، وهو لا يدخر جهدا في بذلها لخدمة قضيته التي وقف عليها حياته واعتبرها مشروع العمر.

المبحث الثاني : أنواع الرسائل وخصائصها:

1 - أنواع الرسائل:

أولا: الوصايا:

وهي تلك الرسائل التي أرسلها الخلفاء الراشدين إلى من وتوضع على الأمصار، ويطلبون منهم السير في الحكم والحرب والفضه على طرق معينة، مثلها ما يكتبه الآن حاكم الدول إلى شعرائهم أو من يقومون بمهام معينة لهم.

ثانيا: الرسائل الشخصية:

*الذاتية: هي التي يكتبها الشخص إلى صديقه أو قريبه، وتسمى بالرسائل الأهلية ويعبر فيها الكاتب عن نفسه تعبيرا حرا بلا قيود.

* الأدبية: وهي تلك الرسائل التي يرسلها أديب إلى أديب آخر مناقشا إياه، أو متحدثا في قضية أدبية أو عن خبرته في عصر من العصور، وهذه يجب نشرها بعد وفاة صاحبها خدمة للأدب بعد استبعاد ما يسوء منها.

ثالثا :الرسائل الأدبية:

تعتبر الرسائل الأدبية فنا قديما، شأنها شأن فن الترسل، ولكن رغم تنوع أصنافها وتعدد مواضيعها فإننا نجد في عصرنا الراهن تظهر في شكل جديد لصيق بإفرازات العصر الحديث عقب الحرب العالمية الأولى.

رابعا : الرسائل الرسمية (الإدارية): "وهي التي ترسلها إدارة من الإدارات، أو هيئة من الهيئات إلى فرد من الأفراد أو العكس"¹.

2 - بنية رسائل الإبراهيمي:

ويبلغ عدد الرسائل التي حررها الإبراهيمي، على فترات متباعدة من حياته، ستة عشرة رسالة.

وهذا نزر قليل جدا في جنب كاتب الإبراهيمي الذي يستحيل أن يقتصر على هذا العدد فقط الذي لا يغطي كل حاجاته واهتماماته الشخصية باعتباره شخصية علمية وأدبية مرموقة، من جهة ومن جهة ثانية لا يغطي المنصب الذي يشغله والدور المنوط به كرجل إصلاح ورئيس جمعية العلماء المسلمين، ولعل ما رد هذا النقص إلى ضياع جزء كبير من رسائله.

وقد تنوعت رسائل تبعاً لتنوع اهتمامات المؤلف، وتعددت مواضيعها وأغراضها بين السياسة وقضايا المجتمع وغيرها، وهي موضوعات تباعدت حيناً، وتقاربت حيناً آخر، ولكن تجمعها سمة واحدة وهي أنها كتبت للجزائر ومن أجل الأمة الجزائرية.

ولعل أول ما يلاحظ بخصوص رسائل الإبراهيمي تفاوت رسائله حجماً، فثمة رسائل طويلة نوعاً ما وفي مقدمتها الرسالة المسماة الضَّب التي تحث فيها بإسهاب تحدث العارف عن هذه الأنواع من الحيوانات التي شبت عن طوقها، فتكلم عن الضَّب وعن نظرة العرب له في شبه الجزيرة العربية، وهناك الرسالة المقتضبة، وهناك المتوسط منها .

¹-دانه العتوم، فن الرسائل الأدبية، موقع عربي e3arabi.com

2 - 1 - بنية رسائل الشيخ الإبراهيمي:

إن مقدمات الرسائل أو استفتاحاتها أو مطالعها من أهم أجزاء الرسالة، وقد تناولها النقاد في القديم وأولوها أهمية كبيرة، لأنها أول ما تقع عليه عين المتلقي، وقد "خصّ الإستفتاح بالإهتمام لأنه أول ما يلتقط ويتلقى، واشترط تنقيحه، وتجويد صياغته، ومطابقتها للمعنى الوارد بعده، والعمل على تنويعه، لتوفير دواعي تلقي قراءة تبلغ وتمتع، والإستفتاح في النصوص الترسلية ظلّ متعددا، متحركا"¹، ويلاحظ أن الإستفتاحات تنوعت وتعددت في أدب الرسائل حسب ما يثبته أحدهم " ونظرت في الإستفتاح فوجدته يختلف باختلاف الأزمان"²

نجد أدينا الشيخ الإبراهيمي في كل رسالة من الرسائل التي ندرسها في هذه الورقة البحثية يبدأها بمقدمة خاصة حسب المرسل إليه، ففي رسالته إلى السيد الأستاذ إبراهيم الكتاني "الذي كان شديد الإعجاب بالحركة الإصلاحية في الجزائر فكان لا يزال يتحدث عنها بتقدير وإعجاب لطلابه بجامعة الرباط: يراع للحالة التي كان الجزائريون عليها فبالعقد الرابع من القرن العشرين وقد ازداد الجزائر عام خمسة وثلاثين وتسماية وألف حين يقول: "شاهدت من تعاسة المسلمين ودينهم ولغتهم ما لم أكن أتصور أن الحالة وصلت إلى معشاره: جهل باللغة العربية فظيع، وطمس لمعالم الدين شنيع"³ يبدأها بدعاء للمرسل إليه هذه_ أطال الله بقاء أخي_ ثم يخبره عن موضوع رسالته وزمن كتابة ما أرسل شهرا ناجر وهو إسم صفر في الجاهلية (تنجر فيه الإبل أي تشرب فيه كثيرا)_ وهو

¹ _آمنة الدهري، الترسل الأدبي بالمغرب النص والخطاب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية المملكة المغربية، ط1،

1424هـ، 2003م، ص37.

² _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

³ _ عن موقع ستار تايمز، نقلا عن مجلة البيان العدد 13، <http://www.startimes.com>

يرسل له مقطعا من فصل من ملحمة _ومضمون هذه الملحمة قائلا: " اشتملت على أفانين من الجد والهزل، والشخت والجزل، ووصف الرخاء والأزل، والولاية والعزل، والنكث والغزل"¹.

وفي رسالته إلى الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة بمناسبة ذكرى وفاة أخيه وصديقه الشيخ الإمام ابن باديس، نجده يفتتحها بقوله: «أحیی بتحيات الله المباركة الطيبة أبنائي المهاجرين في سبيله، لا أخص بتحياتي من ينتسبون إلى وطن، أو تجمعهم جمعية، بل أعمّ من يظلمهم دين ويربطهم لسان، ويجمعهم جامع، أولئك كلهم أبنائي، يستوون في حيي لهم، وعطفي عليهم، وآمالي فيهم، آحادهم وجموعهم.»².

أما رسالته الموجهة إلى سعادة وزير داخلية الجمهورية الفرنسية، وهي عبارة عن كتاب مفتوح نشر تباعا في جريدة النهضة التونسية بتاريخ 30 من أبريل عام 1947م/ ثم بجريدة الإصلاح في عددها الثامن والأربعين بتاريخ 8 من مايو عام 1947م، فإننا نجده يفتتحها بالنداء «يا سعادة الوزير» وتدخل هذه الرسائل ضمن ما يعرف بالرسائل الديوانية، يوجهها إلى الوزير الفرنسي للداخلية بعد زيارته لبلادنا راجيا أن تكون هذه الزيارة تمهيدا لإصلاح سياسي واقتصادي واجتماعي في صالح الجزائريين.

أما رسالته الموجهة إلى الأديب والمؤرخ الجزائري المرحوم أحمد توفيق المدني فقد كان افتتاحها بعبارات الشناء والتبجيل والإحترام للرجل، وسمع إليه يقول في مستهلها: «حضرة الأديب الفاضل الأستاذ أحمد توفيق المدني أسعده الله، سلام عليكم وتحيات مباركات.»³

¹ _ أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م، ص149.

² _ المرجع نفسه، ص153.

³ _ المرجع نفسه ، ص156.

2 - 2 - المضمين التي تنص عليها رسائل الشيخ الإبراهيمي:

بعد الإستفتاح يأتي مضمون الرسالة، وفيه ينتقل كُتّاب الرسائل إلى المراد من كتاباتهم— وبجسن تخلص— يدخلون إلى ما يريدون قوله، وغالبا ما يقع ذلك بعبارة أما بعد، وهي وقفة بين الإبتداء والشروع في موضوع الرسالة، وقد تنوعت المضمين في الرسائل بشقيها— الديواني والإخواني— وتطرت إلى مختلف جوانب الحياة السياسية والإجتماعية، فكان كُتّاب الدواوين يكتبون بتولية القادة وعزلهم، وبتولية القضاة والأمراء، كما يكتبون بمناسبة النصر والتهنئة وغيرها من الموضوعات المختلفة، وكان الإخوان يتبادلون رسائل الشوق والإعتذار والتهنئة بالمناسبات المختلفة— الزواج، المولود الجديد التعزية الشكر والدعوة لحضور مناسبة.

أما مضمون الرسائل التي كتبها الشيخ الإبراهيمي فقد تباينت هي الأخرى بإعتبار أنها لم تكن موجهة إلى شخص واحد، أو أشخاص يجتمعون في نفس الصفات، فنجده في رسالته إلى الأستاذ الكتاني يجعل محور رسالته يتضمن خبرا يمكنه وصفه بأنه عملي فقد كان بصدد إخباره عن إرساله لقطعة من ملحمة طويلة نظمها في شهر الصيف يستخدم فيها أسلوبه الساخر اللاذع الذي عرف واشتهر به، ونراه يستعمل عبارات جميلة يستعرض بعدها معرفته بفن الملحمة في تاريخ الأدب العربي مخبرا مراسله أن ملحمة إن طالت لتكونن من أكبر الملاحم في الأدب العربي، ثم مذكرا له أنه على إطلاع بما كتب من ملاحم معجب بما جاء فيها بدء من أبان بن عبد الحميد وأرجوزته في الأمثال والحكم وإختيار كتاب الملاحم لبحر الرجز الذي يعده المعري من سفساف القريض مستعذبا رجز ابن الخطيب مطريا على رجز الشناقطة، وفي هذا الكلام دلالة على أن الشيخ الإبراهيمي له إطلاع واسع على تاريخ الرجز في الأدب العربي منذ عصوره المتقدمة.

وفي رسالته للأستاذ الكناني إخبار عما كان يحاول فعله وهو في المنفى بمدينة آفلو أن ينظم تاريخ الإسلام، وأنه نظم في دخول الإسلام إفريقية وبناء القيروان وموت عقبة بن نافع الفهري... إلخ، إلا أن قريحته جمدت بعد عيد الفطر فلم يكتب بيتا واحدا.

أما رسالته الموجهة إلى الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة فقد تضمنت بعد افتتاحيتها دعاء للعلماء والأبناء _الطلبة_ بالبقاء ذخرا للوطن والعربية والأمة، وبطول العمر، ثم يبين أهمية الدين واللغة في إذابة القيود وإزالة الحدود بين الأوطان العربية والإسلامية، موضحا أن أخوة الإسلام والعروبة لا تقوم على الأقوال بقدر ما تقوم على الأفعال والحقائق.

ولو أوتيت الأمة رشدها لبنت العلاقات فيما بينها على كلمتي: المسلم العربي بدل الأنساب والأعراق في البلدان والقبائل لأنها مداخل وثمر لشيطان الوطنيات الضيقة، ولا يخفى ما كان من احتلال للأوطان العربية والإسلامية بسبب سياسة فرق تسد التي بفعلها استطاع الغرب احتلال الدول العربية والإسلامية والسيطرة عليها بسهولة تامة.

ثم نراه يعرج على موضوع الرسالة وهي إحياء ذكرى رفيق دربه في الإصلاح وكفاح العلم والقلم، الشيخ عبد الحميد بن باديس، فهو في نظره صاحب فضل ومنه على الجميع، ممن يحملون روحا جديدة أو فكرة سديدة، من طلاب العلم ومن غيرهم من أبناء الجزائر، ويدعوهم إلى نهج نهجه في التفكير وطرائق الإصلاح، والتعاون على إنهاء ما بدأه، والمشاركة في إحياء ذكره بنشر أعماله للعبء، معتبرا فعل ذلك من سمات الوفاء لهذا المصطلح العظيم.

وقد اعتبر إحياء ذكرى الإمام بتونس تحمل لطائف ومغازي ورقائق هي من آثار الروحية والوجدان والضمير إلى جانب الصلة الزيتونية الوثيقة التي يرتبط بها الجميع.

وأما فيما يتعلق ببنية خواتيمه للرسائل فهي شيء آخر فيها، وتكون في غالب الأحيان بلفظ "السلام" أو "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، وتكون مسبقة بالدعاء، كما تشتمل كثير من الرسائل على التأريخ باليوم والشهر والسنة كعلامة على انتهاء الرسالة وإن كانت بعض الرسائل تؤرخ في البداية ويتم التأريخ بما مضى من الشهر باعتباره معلوماً، ويشترط في الإختتام ما يشترط في الإبتداء من جودة وحسن لأنه آخر ما يتبقى في الأسماع.¹

وإذا نظرنا إلى بنية خواتيم رسائل الشيخ الإبراهيمي موضوع هذه الوريقات فقد تنوعت هي الأخرى، واختلفت من رسالة إلى أخرى، فنجدته يختم رسالته بأبيات يرسلها إلى الأستاذ إبراهيم الكتاني يبلغه من خلالها أنه إذا أعجبه الملحمة سيرسل له مع كل رسالة جزء منها وسيكون في فصول الشيطان ما يضحكه ويسليه.

وهذه الخاتمة الشعرية تتألف من ثلاثة مقاطع مجموع أبياتها سبعة وعشرون بيتاً، أختار منها المقطع الأخير،

وفيه ما يعبر عن حال الأمة اليوم أحسن تعبير، يقول:

- ثم استعانوا من بنيك بثبات
- ليس لهم في موقف الحق ثبات
- استجلبوهم بالدها والكيد
- واستدرجوهم للزبي كالصيد
- استضعفوههم واستخفوا شأنهم
- وألبسوههم _ضلة_ ماشأهم

¹ _ محمد طاهر تاويت، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م،

● وسحروا أعينهم وإسترهبوا

● ورغبوا بعاجل ورهبوا

أما خاتمة رسالته إلى الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة في ذكرى الإمام المصطلح الشيخ عبد الحميد بن باديس، نراه يوجه الشكر إلى إخوانه هناك، كما يرجوا أن تتضافر الأيدي وتتوافر الهمم وتتعاون الألسنة والأقلام خدمة لهذا الدين وتاريخه ولسانه، يقول: «أيها الإخوان: أشكركم شكرا تثقل موازينه، يطرزها الحب ويزينه بركم بأخيكم وأخي، الذي نفى بعهدته الثقل، وأرجو أن تتضافر الأيدي وتتوافر الهمم وتتعاون الألسنة والأقلام على خدمة هذا الدين وتاريخه ولسانه بهذا الوطن الذي هو قطعة من ملك الإسلام وركن من حصن العروبة الأشم»¹.

ولا ينسى في آخر رسالته توجيه التحية إلى تونس العزيزة عليه، الحبيبة على قلبه، ذاكرا علاقاته بأبنائها التي تجدد ولو بلى الزمن، ويعلن بصوت مرتفع _ مستعملا أسلوب الندبة _ شوقه إلى تونس وإلى إخوانه من العلماء وأبنائه من الطلبة بجامع الزيتونة العامر، قائلا: « وواشوقاه إلى تونس، وواشوقاه إليكم أيها الإخوان الخيرة والأبناء والبررة»².

أما آخر الرسائل في هذه الوريقات فقد امتازت بخاصية ميزتها عن باقي الرسائل من حيث الحجم، فإنها كانت أقصر الرسائل التي تناولناها، وظهر لي أنها كانت شديدة اللهجة نوعا ما، واقتصرت على المهم رغم أننا عرفنا الشيخ البشير الإبراهيمي في رسائله السابقة مفصلا لبعض جوانبها أحيانا، مستفيضا بالشرح أحيين أخرى، وأرى أنها لم تنته كسابقاتها فقد سارع كاتبها إلى إنهاؤها بعبارة مقتضبة جاء فيها: «دمتم لأخيكم»³.

¹ _ أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، ص 153.

² _ المرجع نفسه، ص 153.

³ - المرجع نفسه، ص 156.

لم يخرج الإبراهيمي في رسالته عن التقاليد الرسالة المتعارف عليها في الأدبيات النقدية لهذا اللون من الكتابة حيث يستهل مطال الرسالة بإسم المرسل والإشارة إليه، فردا كان أو جماعة، كما في أول رسائله في المتن المدروس وهي الرسالة التي بعث بها إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني، وأرسلها من منفاه في أفلو في شهر أفريل 1940، على أثر وفاة الإمام عبد الحميد بن باديس ونشرت في كتاب " حياة كناع " (مذكرات أحمد توفيق المدني) الجزء الثاني، وقد بدأ تصدير الرسالة بذكر المرسل إليه فقال:

إلى الأخ الأستاذ أحمد توفيق المدني حفظه الله،

أخي:

أعتقد أن الراحل أخي العزيز لم يكن لأحد دون أحد، بل كان كالشمس لجميع الناس، وأعتقد أن فقدته لا يحزن قريبا دون بعيدة وأخذ أوفر الناس حظا من الأسى لهذا الخطب مع أعرف الناس بقيمة الفقيد. ومن هذه النماذج كذلك رسالته التي تندرج ضمن التوسل الديواني، التي نجت بها إلى الضباط الأحرار الصريب وعلى رأسهم، جمال عبد الناصر وأنور السادات ونصها كالتالي:

من جمعية العلماء الجزائريين

إلى القائدين عبد الناصر والسادات

السيد رئيس جمال عبد الناصر والسيد الوزير أنور السادات

بمناسبة الجهاد الذي يقوم به إخواننا الجزائريين هذا الإستعمار الفرنسي الغاشم، دلل رجال الثورة في مصر من جديد على مروءتهم الكافلة، وعلى وفائهم الدائم لإخوانهم الأحرار المكافحين في المغرب العربي، فلقد كان

أول صوت إرتفع عاليا مدويا بعد إندلاع الثورة الجزائرية هو صوت الرئيس جمال عبد الناصر في تصريحاته القوية المعرفة لجريدة كارفور الإستعمارية.

ويدخل في هذا الباب كذلك الرسالة التي بعث فيها إلى الطلبة الجزائريين في الزيتونة التي ضختها نصائح قيمة للطلبة الجزائريين وما يعقد عليها من آمال وفي ظني من أنفس رسائله هذه الأخيرة التي ضاعت فيها ضاع من أعماله الأدبية إبان رحلته المشرقية فقد عاد المستعمر الفرنسي على بيته وصادر الكثير من المخطوطات وكان فيها إحراقا وإتلافا.

وهذا مطلع من نص هذه الرسالة التعيسة:

إلى أبنائي الطلبة

المهاجرين في سبيل العلم

أوجه النداء إلى جميع أبناءنا المهاجرين إلى الشرق العربي، أو إلى أطراف حق التمثيل فخلفوا للمكتبة الشعر العربي مآثر وروائع تصدق فيها قصيدة المتنبي التي بعنوان الناس الظلام وأنت النهار

لطالما كان الشعر رافدا من روافد الثقافة العربية لذلك تسابق العلماء والأدباء إلى تدوينه ولا أدل على ذلك من أن ابن الأنباري كان يحفظ ثلاث مئة بيت شاهد، والشافعي كان يحفظ عشرة آلاف بيت من شعر هديل بإعرابها، وفريها ومعانيها، وقد كانت الضرورة ملحة لفهم اللغة الكتابية لدى الإمام، وفهم أسرارها ومكنوناتها، ويتأبى هذا بعيدا عن الشعر الذي إتخذه الإبراهيمي منذ بداياته أداة لمقادة القلوب وغثارة حماسها وبعث همتها [...] واعتمد عليه كثيرا في الإستشهاد: وهذا الجنس كثير - الإستشهاد- في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر، ومجره مجرى التذليل لتوليد المعنى. وهو أن تأتب بمعنى، ثم تؤكده بمعنى آخر

يجري مجرى الإستشهاد على الأول، والحجة على صحته¹ ، وإكثار الامام من الشواهد يرجع إلى عدد من الأسباب أهمها:

* قوة ذاكرته، وقوة حافظته وقدرته على الإستعادة

* الذوق الرفيع

* كثرة المحفوظ الذي أسعفه بأن يجد لكل قضية شاهدها المناسب.

* إدراكه أن في الشعر حقايدة للقلوب وجلبا للأفهام.

المغرب العربي أو في أوروبا، ثم أخصص المهاجرين إلى تونس لأنهم كثرة ولأن في أخوانهم لغيرهم عبرة.

وبعد الإستقلال يعمد إلى تصدير رسالته بالبسملة والحمدلة أو هماس، أو الدعاء ، ومن نماذج التصدير

بالحمدلة والدعاء ما جاء في الرسالة المذكورة سابقا، وهي رسالته التي بعث بها الى الأستاذ أحمد قصيدة:

ولدنا الأستاذ أحمد بن أبي زيد يسره لليسرى:²

وصلتني رسالتكم الكريمة فأحمد الله لي ولكم على نعمه المتواترة، ونسأله التوفيق والإعانة وحسن العاقبة

وتيسير الصالحات.

وقد تنوعت رسائل الابراهيمى في أغراض شتى كالتعزية مثل رسالة إلى الأستاذ أحمد توفيق المدنى التي غزاه

فيها بوفاء العلامة بن باديس، ورسالته إلى الطلبة الجزائريين بالزيتونة بمناسبة ذكرى الإمام بن باديس غالبا ما ينتقل

¹ -البشير خذير، أهم خصائص الكتابة الأدبية عن الابراهيمى وروافدها، ص 466.

² -خذير البشير، البناء والتشكيل الفني للأشكال النثرية عند محمد البشير الابراهيمى عن الخطابة والترسل أنموذجا، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، الجزائر، 2012/08/28، العدد 1، ص 30.

الإبراهيمي بعد التقديم ، (إستهلالا وتصديرا) إلى غرض الرسالة، وهو أهم قسم فيها، حيث تراه يناقش ويحلل ويدافع عن موقف ما تارة، أو تجده يقدم فكرة ويدعم رأيا ويسدي نصيحة تارة أخرى.¹

المبحث الثالث : خصائص رسائل الإبراهيمي الأسلوبية والفنية:

وقبل أن نكشف عن السمات المميّزة لمادته الأدبية، نشير إلى أنّ جميع الدارسين والنقاد، يجمعون على أنّ صاحب البصائر أوتيّ فحولة أدبية قلّما تتأتّى لكاتب غيره، بل لكأنّ أبا عثمان الجاحظ قد تمثل فيه، لما حققه في ميدان النثر الفتيّ، فخطبه ورسائله ومقالاته تمثل أرقى أساليب اللّغة العربيّة، وتشي بقدره عجيبة على تجبير النّصوص وزخرفة القول، وتمثل دليلا على موهبة أدبيّة فدّة. يقول في هذا المقام عبد المالك مرتاض:

يسمو أدبه إلى ذروة الفنّ الأدبي، ونحن نحسب أنّ هذه الفترة لم تعرف كاتباً ينحو منحى أبي عثمان الجاحظ في كتابته دون أن يبدو عليه تكلف أو ضعف أو جذب في القريحة أو ضحالة في المفردات اللّغوية كمحمد البشير الإبراهيمي".²

كما يراه الباحثون صاحب أسلوب عربيّ أصيل، يستمد أصالته من التّراث الأدبي القديم، القائم على حسن السّبك وجودة الحبك وبراعة التحبير، وكل ما تتطلبه معاني الأصالة التي أشار إليها أحمد حسن الزّيات:

"وملاك الأمر ألا تكتب كما يكتب الناس، ملاكها أن تكون أصيلا في نظرتك وكلمتك وفكرتك وصورتك ولهجتك".³

¹ - خذير البشير، البناء والتشكيل الفني للأشكال النثرية عند محمد البشير الإبراهيمي عن الخطابة والترسل أمودجا ، ص 31.

² - أحمد حسن الزّيات، دفاع عن البلاغة، القاهرة، عالم الكتب، 1967، ص 95.

³ - عزّ الدّين إسماعيل، الشعر في إطار العصر الثّوري، بيروت، دار القلم، ط 1 ، 1974، ص 27.

ولأنّ دراسة الأدبية في أيّ خطاب تعتمد على النظر في جملة من العناصر وهي: اللّغة والأسلوب والإيقاع، فإنّنا سنتبّع هذه العناصر في نثرات الإبراهيمي، بهدف الوقوف على الأدبية فيها. ينطلق النقاد من حقيقة ثابتة، تتمثل في أنّ الخصائص المميّزة لأسلوب الأديب تظهر من خلال طريقة تفاعله مع اللّغة؛ لأنّ أسلوبه ليس سوى نتيجة للتفاعل بين ذاته واللّغة.¹

واللّغة عند الإبراهيمي ذات ثلاثة مستويات: المستوى الشعري والمستوى الخطابي والمستوى التقريري. وممّا لا شكّ فيه أنّ المستويين الخطابي والتقريرية لهما علاقة وثيقة لأنّ اللّغة فيهما تعتمد على المباشرة والمنطق، وتتخلّى عن بعض المتطلبات البلاغية، مكتفية بعرض الحقائق ولذلك فإنّها ذات دلالات محدودة ومقاصد واحدة لا تتعدى المعنى الظاهري.

ومن هنا فإنّ الأدبية ستتجلى في المستوى الشعري، حيث نجد لغته مشحونة بالذاتية، مثلما يظهر في هذا النّص: "يا عيدُ بأية حال عُدت؟ وهذه فلسطين - التي عظّمت حرمتك ثلاثة عشرة قرنا ونصف قرن، وتأرج تراها بالأثر العاطر من إسرائي محمد، واطمأنت - من أوّل يوم - قلوب أبنائها بهدي القرآن"².

فاللّغة هنا تسير الموقف الانفعالي لصاحبها، تنمّ عن مشاعر حزينة، وممّا زاد في تعميق الانفعال، استعانه بالتعبير الشعري: عيد بأية حال عُدت يا عيد .

والملاحظ أنّ لغة كاتبنا في مستواها الشعري، تقوم على خاصية الانزياح اللفظي والدلالي، وهي من أبرز مظاهر أسلوبه، يلجأ إليها بهدف التأثير الجمالي والفني كما في قوله: "إنّ بين جنبيّ ألما يتنزى، وإنّ في جوانحي نارا

¹ _ البشير الإبراهيمي، البصائر، ع 12، 1947، ص 2.

² _ أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، ج 2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1، 1978، ص 526.

تتلطّي، وإنّ بين أناملي قلما سمته أن يجري فجمع"، فالدلالة الأصلية للفعل جمع إمّا للمرأة حين تهجر بيت الزوجيّة، أو للفرس في حالة سرعة وانفلات، ممّا يعني أنّ الاستعمال أعطى دلالة للفعل لأن الجموح لا يكون للقلم، وإمّا جاء كذلك من أجل التعبير عن دلالة نفسيّة تتمثّل في جياشان الخواطر، إضافة إلى التعارض بين سمات الفعل "جمع" والقلم، وهذا منبع شعريّة النّص¹.

ومن ذلك أيضا قوله "ورضيّ فوق الرّضى بأبوتك لي أن رضيت بينوتي لك، ويمينا لو تبرّحت لي المواطن في حللها وتظامنت لي الجبال بقللها لتفتني عنك لما رأيتُ لك عديلا ولا اتخذتُ لك بديلا". ففي هذا المقطع نجد لفظين خرجا عن دلالتهم المعجمية ليلجا سياقاً جديداً فاكتسبا دلالة مغايرة، مشحونة بالمعاني النفسيّة، حيث كشف الفعل الأول عن قداسة الانتماء إلى الوطن، كما دلّ الفعل الثاني على عزّة النفس إبانها.²

وبالإضافة إلى ما تقدّم، نجد الإبراهيمي يحسن اختيار ألفاظه ويعمد إلى تركيبها فتيّاً، مثلما نراه في هذا المقطع حيث يقول: "أيّ أبنائي المعلّمين: هناك أمم تقدّمتمكم في العلم والمعرفة والنّظام، فخذوا من مبادئها العبرة، وخذوا من مصايرها العظة، وإنّ عبرة العبر لكم فيها أنّ العلم، وإن تشعبت أغصانه، وتفرعت أفنانه، وأسلس لها عصية حتى فتحت به مغلقات الكون، لم يغن عنها فتيلاً مما تغني الأخلاق والفضائل"، فلفظة "فتيلاً" أصدق دلالة من الألفاظ القريبة منها ك: قليلاً أو يسيراً أو شيئاً، ذلك لأنّ القصد هو بيان أنّ النهضة لا تستغني عن الأخلاق والفضائل، فالعلم أعرج دونها.³

1_ أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، ص 486.

2_ المرجع نفسه، ص 159.

3_ المرجع نفسه، ص 385.

وهذا الاختيار الدقيق، تفسّره كذلك تلك المباني الصّرفية التي ينتقيها كبنية إفتعال الواردة في قوله: "وكأنّنا استبدلنا بجنسيتنا الواحدة جنسيات متعدّدة، كلّها غريبة عنّا، وكلّها مجمعة على اهتضامنا وهضمنا". فصيغة اهتضامنا تدل على الجهد والمجاهدة التي يبذلها الاستعمار من أجل سلخ الأمة الجزائرية عن مقوماتها، ومن ثمّ فإنّها تدل على تكاثر الأحداث وتكثفها.¹

ومن الصيغ كذلك توظيفه لإستفعل في سياق حديثه عن دور جمعية العلماء المسلمين حيث يقول: "واستمرأت القراءة فأمنت بها وأنست واستوبلت الأمية فكفرت بها واستوحشت منها"² فصيغة إستمرأ تدل على التلذذ والإشباع التعليمي، أمّا صيغة إستوبل فتدل على الشعور بالقرف والإشمئزاز، وكذلك صيغة إستوحش التي توحى بالخوف والشّر.

1. الأسلوب:

يشير الدارسون إلى أنّ أسلوب الإبراهيمي، يتميز بخاصية التّوليد الدّلالي، وهي ذلك التّمّد الأسلوبي لفكرة ما، حيث يتسع محيطها الأسلوبي ليشمل أكثر من عبارة، وذلك للتّعرف على حجمها الأسلوبي³، إنّ إحتفاء الكاتب بهذه الميزة، يعكس عنايته بالفكرة وإهتمامه بالمعنى بحيث يوصله بأوضح السّبل وأحسنها وأجملها، علما أنّ الإبراهيمي يستخدم التوليد بعدّة أشكال كالأوصاف والنّعوت كما في قوله:

أمّا عن النّاس وأحوالهم فقد عرفت هذا الشعور الفياض من الأحياء المستضعفين بحقّهم في الحياة، وهذا الإصرار الدائب على المطالبة به، وهذا المنطق الحكيم الذي يترجم تلك المطالبة وهذا البغض المتأجّج للإستعمار،

1_ أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي ، ص 157.

2_ عبد الحميد بوزونة، بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي، لجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1، 1983، ص 24.

3_ أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي ، ص 20.

يخضّر في هذا النصّ التوليد عن طريق جملة من النّعوت، تؤكّد موقف المستضعفين من الاستعمار، كما حقّق هذا الوصف إيقاعاً موسيقياً نتيجة التوازن في الوحدات: الشعور الفيّاض؛ الإصرار الدائب؛ البغض المتأجّج¹.

ويتخذ التوليد عند كاتبنا أشكالاً أخرى، كالجملّة الفعلية التي تساعد على التمدد الأسلوبى، ويظهر هذا في قوله "نحن في بحر لجيٍّ من الفتن المحيطة بالعروبة والإسلام، نغالب تيارها، ونروّض بالعزيمة زحارها، ونقاوم بالإيمان والثبات إعصارها" فهذه الجمل أدّت وظيفة الوصف، معبرة عن موقف الجزائريين من الإستعمار².

وغير الجملّة الفعلية، يعتمد الإبراهيمي إلى التوليد عن طريق الترادف بهدف الإحاطة بالفكرة والإلمام بالمعنى، ولذلك نراه يأتي بجمل مختلفة الأساليب والتراكيب، ولكنها تصبّ في المعنى الأساسي كما في قوله: "جرّنا فصحت التجربة، وبلونا فصدق الابتلاء، وامتحنا فدلّ الامتحان على أنّ عرق الإيمان في قلوب هذه الأمة كعرق الذهب في المنجم"³. فهذا توليد بالترادف، يقوم على التكرار لأنّ الوحدات الألسنية الثلاث هي في الأصل وحدة دلالية واحدة، لأنّها تؤكّد على أنّ الأمة عريقة في حضارتها وتاريخها وعقيدتها.

ومن الأساليب التي تحضّر بقوة في كتابات الإبراهيمي، أسلوب التّقديم والتأخير الذي لا تظهر أديبته فقط فيما يحدثه من خلخلة، وإنّما في الدلالات التي تنشأ نتيجة لذلك التّصرف في مواقع عناصر الجملة. ومن أمثله قوله:

فكلّما هاجت به التّوبة، ارتكب جريمة وسنّ لها من القوانين ما يقوّيها ويغطيها، ويسمّيها مصلحة، وجنّد لها من الأشخاص كلّ حاكم وكلّ طامع وكلّ ذي نحلة سيئة ومن الأعمال التطبيل والتزوير والإعلان والتشهير ومن

¹ _ أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، ص 55.

² _ المرجع نفسه، ص 273.

³ _ المرجع نفسه، ص 480.

المعاني الاستمالة والتسيير والاستهواء والتغريب".¹ فالنص يشتمل على خاصية أسلوبية، تحضر بقوة في خطاب البشير الإبراهيمي، تتمثل في ظاهرة تقديم المتعلق بالمفعول به عن المفعول به لدلالة إضافية تكمن في كشف مسافة التوتر بين أقوال المستعمر وأفعاله كما تعبّر عن الانفصام بين الذات: الوطن والأمة، وبين الآخر: المستعمر.

ومن مظاهر الأدبية في كتابات الإبراهيمي، توظيفه لأسلوب الحذف بالإيجاز، حاجة فنية بليغة كما نجده

في قوله:

ومن العجيب أنّ خصومنا الأقوياء الأذكياء لم يذكروا كلّ هذا حينما أقدموا على فعلتهم وأتوا بها شنعاء على الأيام فانتجت لهم هذه الحادثة، ضدّ ما أملوا، وأتتهم بعكس ما أرادوا، وقد أملى عليهم الحقد أن ينتقموا من هذه الأمة فانتقمت منهم الأمة ... فكشف لهم الغيب ما لم يعهدوا أو لم يتعودوا".² يتجلى المحذوف في الضمير الغائب المتصل بالأفعال: أملوه؛ أرادوه؛ يعهدوه؛ يتعودوه. حيث أنّ دلالاته في الفعلين الأولين، تعني الانتقام من الأمة، وهي مخالفة لدلالاته في الفعلين الثانيين لأنّها تعني الانتقام للأمة.

¹ _ أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، ص 209.

² _ عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي القاهرة، 2013 ص 374.

2. الخصائص الفنية:

• الإيقاع:

الإيقاع يطال سائر الفنون القولية شعرا ونثرا، وهو ذلك التكوين الصوتي الصادر عن الألفاظ المستعملة، ممّا يجعله وليد التشكيل الصوتي للألفاظ المستعملة في سياق ما وفي تنظيم صوتي ما يحضر الإيقاع في خطاب الإبراهيمي، بشكل لافت للإنتباه، ويقوم على توظيف بعض الفنون البلاغية كالجناس كما نراه في قوله "أتمثله واسع الآمال إلى حدّ الخيال، ولكنّه يزجّيها بالأعمال إلى حدّ الكمال [...] أتمثله مصاولا بالحجاج والإقناع ولا باللحاج والإقذاع، مرهبا لأعدائه بالأعمال لا بالأقوال".¹

ومن عناصر الإيقاع عنده، نجد السّجع المتوازي مثل قوله "خطّت الأقدار في صحيفتي أن أفتح عينيّ عليك وأنت موثقة، فهل في غيب الأقدار أن أغمض عينيّ فيك وأنت مطلقة؟ وكتبت الأقدار عليّ أن لا أملك من أرضك شبرا، فهل تكتب لي أن أحوز في ثراك قبرا".²

وإلى جانب ذلك، يعمد الإبراهيمي إلى خصائص أخرى بغية تحقيق ما يعرف بالإيقاع المعنوي، فيوظّف الطباق والمقابلة والتقسيم، ومن التقابل عن طريق الطّباق والمقابلة قوله "فلا تنسي أنّي ما زلت ألقى الأذى فيك لذيذا والعذاب في سبيلك عذبا، والنّصبة في خدمتك راحة والعقوق من بعض بنيك برّا، والحياة في العمل لك سعادة، والموت في سبيلك شهادة".³

¹ - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، ص 594.

² - المرجع نفسه، ص 484.

³ - المرجع نفسه، ص 484.

ومن التقسيم قوله: "أتمتله بانيا لوطنه على خمس كما بُني الدين من قبلها على خمس: السبب آفة الشباب، واليأس مفسدة للبأس، والآمال لا تدرك بغير الأعمال، والخيال أوله لذّة وآخره خبال والأوطان لا تخدم بإتباع الشيطان".¹

لقد أدّى حسن التقسيم إلى ترتيب المعاني كما أفضى إلى توازن الفقرات. وفضلا عما تقدّم، يحقّق شيخ العربية الإيقاع الداخلي عن طريق تكرار نمطي، يلازم تراكيبه في قوله: "ما زلتُ أقارع الغاصبين في ميدان، وأكافح العابثين بحزّمتك في ميدان وأعلم الغافلين في ميدان، فنحن نلاحظ تماثلاً تاماً وكاملاً بين وحدات الفقرة".²

والشيخ البشير، يعلم علم اليقين أنّ الأدبية، تتبدّى أيضاً في الصّورة من خلال المجاز أو الإستعارة أو الكناية أو التشبيه، فلننظر إلى مكنته في إستخدام هذه الألوان، ولنقف شعوراً على تأثيرها فينا. يقول:

نأسى لك يا مصر. أن أنزلتك الأقدار بهذه المنزلة التي جلبت لك البلاء وجرت عليك الشّقاء، سمّوك "عروس الشرق فكأنّما أغروا بك الخطّاب [...] ولو دعوك لبؤة الشرق لأثاروا بهذا الاسم في النفوس معاني الرّهبة ... عهدك التاريخ صخرة من معدن الحقّ، تنكسر عليها أمواج الباطل [...] وحذار من التّراجع فإنّ اسمه الصّحيح "الهزيمة" وحذار من التّردّد فإنّه سوس العزيمة". يمثل هذه اللّغة الشعرية حبرّ شيخ العربية نصوصه النّثرية ذات المظاهر الأدبية، فارتقى بها إلى مصاف الأعلام الجادّة الجامعة بين الفائدة والفنّيّة.³

¹ _ أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي ، ص 594.

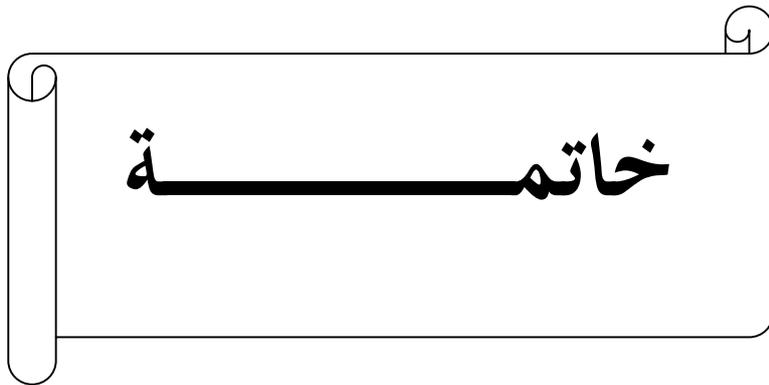
² _ المرجع نفسه ، ص 594.

³ _ البصائر، عدد 178، سنة 1952، ص 1-2.

وعليه نستنتج فيما قيل فيما سبق ذكره أن:

- ✓ أسلوب الرسائل جميل جدا يجعل القارئ يقبل على مطالعتها لما فيها من متعة وفائدة.
- ✓ الرسائل تؤرخ لفترة زمنية محددة من تاريخ الجزائر، أعقبت مجازر الثامن من ماي 1945م، وسبقت الثورة التحريرية المباركة.
- ✓ يلاحظ على أن أسلوب الرسائل أنه لم يخل من ألوان البيان والبديع، ومعروف عن الشيخ البشير الإبراهيمي انتمائه إلى مدرسة الصنعة، لما يملك من قوة بيان وتحكم في ناصية اللغة، فهي مطواعة لقلمه ولسانه، ويظهر في بعض الرسائل اهتمام الشيخ البشير الإبراهيمي بالبديع، فنراه يستعمل السجع والطباق والمقابلة.
- ✓ ورد تأريخ الرسائل في الكتاب الذي جمع هذه الآثار، وخلت منه الرسائل.
- ✓ من ضمن الرسائل الأربعة التي تناولتها هذه الورقة البحثية، رسالتان دون إمضاء من كاتبها، ورسالتان إحداها ممضاة باسم رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ الإبراهيمي، وهي الرسالة الموجهة إلى وزير داخلية الجمهورية الفرنسية، والثانية جاء في أسفلها عبارة «ودمتم لأخيكم محمد البشير الإبراهيمي» وهي الرسالة التي بعث بها الشيخ الإبراهيمي إلى الأديب المؤرخ أحمد توفيق المدني.¹

¹ _ ناصر بوصوري، قراءة في بنائية رسائل الشيخ الإبراهيمي، المركز الجامعي أحمد صالح، النعامة، دط، دن، ص321، 322.



أخيرا ومن خلال مسيرة بحثنا هذا والإستمتاع بجواهر فن الرسالة النفيسة للشيخ البشير الإبراهيمي يمكن أن

نخلص إلى النتائج التالية:

يعد الإبراهيمي طاقة إبداعية أصيلة نادرة ،حافظا للمصادر متشبعا بالثقافة القرآنية ،مهتما بالإصلاح.

_ تنوعت تآليف البشير الإبراهيمي لتشمل عدة مجالات ،وهذا التنوع مرده إلى اطلاعه الواسع على شتى

العلوم.

_ يعد الإبراهيمي أحد المهتمين بفن الرسائل وباعثه من جديد ،ورافعه إلى أرقى الدرجات.

_ من أهم ما تميزت به الرسائل هو التنوع و التوسيع في العلوم كعلم الحيوان، اللغة أضف إلى ذلك زخرفة

الرسالة بالأمثال الشعبية.

_مثل أدب الإبراهيمي ثورة على الجمود ، التقليد في المجال الديني ،فقد حارب الدجل وعمل على تنمية

الإبتكار، الإجتهد ، الإستقلال في الفكر ، الإستدلال ، دعا إلى إحياء معالم الحضارة الإسلامية حتى تنهض

الأمة نهضة أصيلة تسترجع بها عافيتها.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

1 - المصادر و المراجع :

- ✓ القرآن الكريم.
- ✓ محمد البشير الإبراهيمي ، أعلام الثقافة و العلوم ، الموسوعة التاريخية للشباب ، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية ، 1954 ، 1984 .
- ✓ ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، صاحب (لسان العرب)، ط1، دار صادر بيروت ، لبنان، 1997.
- ✓ أحمد زكي صفوت ، جمهرت رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، العصر العباسي الأول ، المكتبة العلمية ، بيروت لبنان ، 1937 .
- ✓ أحمد طالب الإبراهيمي ، آثار الإبراهيمي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط1 ، الجزائر ، 1978 .
- ✓ بوضوري ناصر ، فن الترسل في العهد الرستمي مقارنة أسلوبية ، مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير ، كلية و العلوم الإنسانية قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة.
- ✓ حسين نصّار ، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ، دار صادر ، ط1 ، بيروت لبنان، 2002
- ✓ عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، ط2 ، بيروت ، 1976 .
- ✓ عزالدين إسماعيل ، الشعر في إطار العصر الثوري ، دار العلم ، ط1 ، 1974 .
- ✓ فوزي سعد عيسى ، الرسالة الأدبية في النشر الأندلسي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 2002 .

قائمة المصادر و المراجع

- ✓ خالد إبراهيم يوسف، النثر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان، ط1، دار النهضة، بيروت، لبنان.
- ✓ أبو العباس أحمد القلقشندی ، صبح الأعشى في كتاب الإنشاء، دار الكتب المصرية ، 1340هـ - 1922م
- ✓ محمد لخضر بن ناجي ، فن الرسالة عند أبي عبد الله بن أبي الخصال دراسة فنية أسلوبية ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب و اللغة العربية تخصص أدب قديم ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2014.
- ✓ - حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان ، 2002.
- ✓ محمد لخضر بن ناجي ، فن الرسالة عند أبي عبد الله بن أبي الخصال دراسة فنية أسلوبية.
- ✓ - ابن عثمان عمر الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط 1 ، مكتبة الخانجي بمصر ، القاهرة ، جزء 3 ، 1499 - 1979
- ✓ مصطفى محمد الفار ، داود عطاشة الشوابكة ، دراسات أدبية و نقدية في الفنون النثرية ، دار الفكر ، ط 1 ، عمان الأردن ، 2009 .
- 2 - المجالات :
- ✓ البشير خدير ، أهم خصائص الكتابة الأدبية عند محمد البشير الإبراهيمي و روافدها ، مجلة التواصلية ، المجلد 06 ، العدد 18 ، 2020 .
- ✓ ناصر بوضوري ، قراءة في بنائية رسائل الإبراهيمي ، مجلة نتائج الفكر ، المركز الجامعي أحمد صالح ، النعامة ، العدد الخامس و السادس ، 2020 .

3 - مقالات :

- ✓ حذير البشير ، البناء و التشكيل الفني للأشكال النثرية عند محمد البشير الإبراهيمي فنا ، الخطابة والترسل ، أمودجا ، جامعة تليجي بالأغواط ، الجزائر ، 2021
- ✓ يوسف بن ناقلة ، الصناعة المعجمية في " رسالة الضب " للشيخ محمد البشير الإبراهيمي الجزائري ، 2020 .

4 - المواقع :

- ✓ دائرة العتوم ، من الرسائل الأدبية ، موقع عربي e3arabi.com
- ✓ حسين بنخلف ، الرسالة في النثر العربي : البناء و الخصائص 24 أوت 2013 <https://nassit.wordpress.com>
- ✓ عدلي الهواري ، عود الند ، <https://www.oudnad.net>
- ✓ مصطفى بن محمد سليم الغلابي ، رجال المعلقات العشر ، المكتبة العصرية صيدا 1993. موقع: <https://al-maktaba.org>
- ✓ رسائل النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الملوك الأمراء ، جريدة الأنباء ، أخبار الكويت ، 2011 ،
- <https://www.alanba.com.kw>
- ✓ عن موقع ستار تايمز، نقلا عن مجلة البيان العدد 13 ،
- <http://www.startimes.com>

فهرس المحتويات

6-9مقدمة
11-13مدخل
الفصل الأول: فن الرسائل في الادب العربي	
15أ. مفهوم الرسالة في اللغة والاصطلاح
16-15أ- لغة
18-16ب- اصطلاحا
18ب. أنواع الرسائل
20-181. الرسائل الاخوانية
22-202. الرسائل الديوانية
24-233. الرسائل الأدبية
25ت. تاريخ فن الرسالة
26-251. في العصر الجاهلي
27-262. في العصر الاسلامي
29-283. في العصر العباسي
30ث. الرسالة بناؤها وخصائصها الفنية
301. بناء الرسالة
31-301.1. الصدر أو الابتداء

33-31التخلص.2.1
34-33الغرض.3.1
35-34الخاتمة.4.1
37-35ج. خصائص الرسالة.

الفصل الثاني: فن الرسائل عند البشير الابراهيمي

41-391- الخصائص العامة للكتابة الأدبية عند الابراهيمي.
43-41أ- التأثير بالقرآن الكريم.
45-43ب- التأثير بالحديث النبوي الشريف.
46-45ت- التأثير بالشعر العربي.
48-462. أنواع الرسائل عند الابراهيمي.
57-483. بنية رسائل الشيخ الابراهيمي.
65-574. خصائص رسائل الإبراهيمي الأسلوبية والفنية.
67خاتمة.
72-69قائمة المصادر والمراجع.
74-73فهرس المحتويات.

ملخص:

عالج هذا البحث فن الرسالة عند محمد البشير الإبراهيمي مضامينها و خصائصها.

وقد تناول البحث مقدمة ، مدخل و فصلين وفي الأخير خاتمة ، تطرقنا في المدخل إلى الحديث عن النثر الجزائري الحديث و التعريف بالعلامة محمد البشير الإبراهيمي ومكانة الرسالة عنده ، وعالجنا في الفصل الأول "فن الرسائل في الأدب العربي" وقد درسنا فيه مفهوم الرسالة في اللغة و الإصطلاح ، أنواع الرسائل ، تاريخ فن الرسالة ، وبناء الرسالة وخصائصها الفنية أما في الفصل الثاني وهو تحت عنوان "فن الرسائل عند البشير الإبراهيمي" حاولنا فيه الجمع بين أنواع الرسائل و مضامينها عند الإبراهيمي وخصائص الكتابة الأدبية ، وأيضا خصائص الرسالة الأسلوبية و الفنية عند البشير الإبراهيمي .

Summarization

This research dealt with the art of the letter when Mohammed al-Bashir Brahimi addressed its contents and characteristics in two chapters , entrance. The research dealt with the introduction and we discussed in the entrance the modern , and a conclusion Algerian prose and the definition of the science Mohamed al-Bashir and we addressed it in the first , Ibrahimi and the place of the message in which we studied , chapter. "The art of letters in Arabic literature" types of , the concept of the message in language and terminology

the construction of the message ، history of the art of the letter،letters
and its artistic characteristics

we ، entitled "The art of letters at Bashir Brahimi"،In chapter II
tried to combine the types and contents of letters at Brahimi with the
as well as the characteristics of ،characteristics of literary writing
the stylistic and artistic message at Bashir Brahimi

الكلمات المفتاحية: البشير الابراهيمي، مضامين الرسائل، الخصائص الفنية